المملكة المغربية



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التفسير

من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي

السنة الثالثة من التعليم الإعدادي العتيق

كتاب التلميذ والتلميذة

عنوان الكتاب :

التفسير

من خلال التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي

السنة الثالثة من التعليم الإعدادي العتيق

الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

رقم الإيداع القانوني : 2019MO2609

ردمك : 978-9920-770-25-5

طبعة 1440هـ / 2019م

الإخراج الفني والطباعة:



دار أبي رقراق للطباعة والنشر

10 شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط

الهاتف : 83 75 20 0537 الفاكس : 89 75 20 0537



مقدمـــة

أيها التلميذ، أيتها التلميذة:

يسعدنا أن نقدم إليكما كتاب «**التفسير من خلال كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، للسنة السادسة من التعليم الابتدائي العتيق**» الذي تناولنا فيه تفسير سور: الشورى، والطلاق، والتحريم، حيث عالجت سورة الشورى أهم القضايا العقدية في مجال الإلهيات والنبوءات والغيبيات، مبينة مكارم الرسالة الإسلامية وعلاقاتها بغيرها من الرسالات السماوية السابقة مع تصحيح مختلف المعتقدات الفاسدة والآراء المنحرفة، أما سورتا الطلاق والتحريم فقد تضمنتا مجموعة من الأحكام الفقهية الخاصة بفقه الأسرة كأحكام الطلاق والرجعة والعدة والرضاع التي ترسخ الأسس الشرعية لاستقرار العلاقات الأسرية القائمة على المودة والرحمة والسكينة، والمؤطرة بالقيم الإسلامية المؤسسة لمجتمع متماسك تسوده المحبة والرحمة والمودة والتعاون والتآزر، والتسامح والوسطية والاعتدال.

وقد اعتمدنا في إغناء مضامين هذا الكتاب على بعض أمهات التفسير المعتبرة، خاصة عند الآيات التي لم يتناولها كتاب التسهيل، وذلك بأسلوب يقرب لكما معنى الآيات وييسر لكما فهمها.

كما اعتمدنا على أنشطة تعليمية متنوعة تهدف إلى ترسيخ مكتسباتكما، وتعميق معارفكما وتوجهكما للبحث والتعلم الذاتي، وتساعدكما على استيعاب معاني السور المقررة، وتدبر أحكامها وحِكمها واستخلاص مقاصدها الكبرى والتخلق بفوائدها وثمراتها وقيمها.

ونسأل الله العلي القدير أن يكون هذا الكتاب عونا لكما على التحصيل العلمي المتين، وأن يفتح أمامكما آفاقا واسعة في علم تفسير كتاب الله تعالى، وتمثل معانيه والاهتداء بهداياته.

والله الموفق للصواب

كيف أستعمل كتابي

الدرس 2

سورة الشورى ﴿الآيات: 5-7﴾

● أهداف الدرس

1- أن أتعرف الحكمة من وحي الله إلى رسوله ﷺ.

2- أن أستنتج المقصد من قسمة الناس إلى سعداء وأشقياء.

3- أن أهتدي بالقرآن الكريم لأكون من السعداء يوم القيامة.

● تمهيد

بعد بيان الآيات السابقة قدرة الله سبحانه، وتحذيره العباد من خطورة الإشراك به؛ ذكر في هذه الآيات الغاية من إنزال القرآن الكريم على نبيه ﷺ بلسان عربي مبين، والحكمة من قسمة الناس إلى فريقين سعداء في جنات النعيم، وأشقياء في نار السعير.

فما الحكمة من وحي الله سبحانه؟ وما الغاية من اختلاف الناس في الإيمان؟

● الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ (5) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (6) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (7)﴾ [سورة الشورى: 5-7]

أهداف الدرس
الأهداف التي تسعى أنشطة الدرس إلى تحقيقها وتنميتها

تمهيد
مدخل يضع المتعلم(ة) في سياق الدرس

الآيات
آيات قرآنية أقرأها مطبقا قواعد التجويد، وأستوعب معانيها لتوظيفها في فهم الدرس وبناء تعلماتي

● الفهم

الشرح:

لِّتُنذِرَ: لتخوف وتحذر.

أُمَّ ٱلْقُرَىٰ: مكة.

ٱلسَّعِيرِ: النار الموقدة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما الغاية من الوحي بالقرآن إلى النبي ﷺ؟

2- كيف يكون اختلاف مصير الناس يوم الجمع؟

● التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الغاية من وحي الله إلى رسوله ﷺ

بين الله سبحانه الغاية من وحيه إلى رسوله ﷺ بالقرآن الكريم فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: «وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا بيناه بلغة العرب. وقيل: أي: أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه. والمعنى واحد» [تفسير القرطبي: 6/16].

وقوله سبحانه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: لتخوف وتحذر أهل مكة، فـ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه من حولها، يعني: من الناس. وفي الآية مجاز مرسل. وسميت مكة أم القرى؛ لأنها أفضل بقاع الأرض، لقوله ﷺ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» [سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل مكة].  ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ 

الشرح
شروح لغوية لغريب مفردات الآيات تساعدني على فهم النصوص وإثراء رصيدي.

استخلاص مضامين الآيات
أسئلة تساعدني على استخراج مضامين الآيات موضوع الدرس

التفسير
يتضمن بيان معاني الآيات وتوضيح مقاصدها بلغة سهلة ميسرة تساعد على استخلاص العبر والقيم والمقاصد المستفادة منها لتطبيقها في الحياة اليومية

هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه القادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير» [تفسير ابن كثير: 7/193].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- تأكيد صدق الرسول محمد ﷺ في رسالته.
- بيان أفضلية مكة وشرفها على سائر بقاع الدنيا.
- عموم الرسالة المحمدية لسائر من في الأرض.
- التنبيه على أن انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء، تَمَّ وَفْقَ حكمةٍ يعلَمها الله سبحانه.
- الله سبحانه هو الولي والنصير، ومن طلب ولاية غيره هلك.

التقويــم

1 – لماذا أنزل القرآن الكريم بلسان عربي؟

2 – ما الحكمة من خلق الله الناس مختلفين ولم يجمعهم على ملة واحدة؟

3 – كيف أسترشد بهذه الآيات في التوكل على الله وحده والإعراض عما سواه؟

الاستثمار

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَفِي يَدِهِ كِتَابَانِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟ فَقُلْنَا: لاَ يَا رَسُولَ الله إِلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ اليُمْنَى: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أَجْمَلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ

التقويم
نشاط يتضمن أسئلة تقيس مدى تحقق الأهداف المسطرة في بداية الدرس

الاستثمار
نشاط أتدرب فيه على استثمار التعلمات المكتسبة من خلال الدرس في مواقف جديدة.

وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ الله إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 5]»

[سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – ما المقصد من تقسيم الله سبحانه عباده فريقين؟

2 – أبين الغاية من العمل مستفيدا مما درسته في مادة التوحيد.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 8-10 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أُنِيبُ – يَذْرَؤُكُمْ – مَقَالِيدُ – يَبْسُطُ – وَيَقْدِرُ.

2 – أستخرج صفات الله سبحانه الواردة في الآيات.

الإعداد القبلي
نشاط أطلع به على الدرس الموالي من خلال الأسئلة التي يوجهني إليها الأستاذ (ة)

كفايات تدريس مادة التفسير بالسنة الثالثة من التعليم الإعدادي العتيق

ينتظر في نهاية الموسم الدراسي أن يكون المتعلم(ة) قادرا(ة) على:

- بيان المضامين الواردة في سور: الشورى، والطلاق، والتحريم.
- تحديد أصل الرسالات السماوية وآليات الحوار والتعاون بين أتباعها.
- تأصيل بعض الأحكام الشرعية في مجال فقه الأسرة.
- تمثل القيم الإسلامية النبيلة في علاقة الإنسان بنفسه ومجتمعه ومحيطه.
- إدراك ثوابت الإسلام العقدية والشرعية والخلقية وفهم مقاصدها المتعلقة بالوجود والكون والجود والحقوق.
- توظيف المكتسبات في فهم دلالات الآيات واستخلاص الحكم واستنباط المقاصد المرتبطة بمجالات العقيدة والفقه والأخلاق.
- تقوية العلاقة بكتاب الله تعالى تلاوة وتدبرا وتخلقا.

التوزيع الدوري والأسبوعي
النصف الأول من السنة الدراسية

الأسبوع	الدروس
1	سورة الشورى (الآيات : 1-4)
2	سورة الشورى (الآيات : 5-7)
3	سورة الشورى (الآيات : 8-10)
4	سورة الشورى (الآيات : 11-13)
5	سورة الشورى (الآيات : 14-17)
6	سورة الشورى (الآيات : 18-20)
7	سورة الشورى (الآيات : 21-24)
8	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
9	سورة الشورى (الآيات : 25-27)
10	سورة الشورى (الآيات : 28-32)
11	سورة الشورى (الآيات : 33-36)
12	سورة الشورى (الآيات : 37-40)
13	سورة الشورى (الآيات : 41-43)
14	سورة الشورى (الآيات : 44-47)
15	سورة الشورى (الآيات : 48-50)
16	فرض كتابي رقم 2
17	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2- دعم وتثبيت

التوزيع الدوري والأسبوعي
النصف الثاني من السنة الدراسية

الأسبوع	الدروس
18	سورة الطلاق (الآية: 1)
19	سورة الطلاق (الآيتان: 2-3)
20	سورة الطلاق (الآيتان: 4-5)
21	سورة الطلاق (الآية: 6)
22	سورة الطلاق (الآية: 7)
23	سورة الطلاق (الآيات : 8-11)
24	سورة الطلاق (الآية: 12)
25	فرض كتابي رقم:1 إنجاز وتصحيح ودعم وتثبيت
26	سورة التحريم (الآيتان: 1-2)
27	سورة التحريم (الآيتان: 3-4)
28	سورة التحريم (الآية: 5)
29	سورة التحريم (الآيتان: 6-7)
30	سورة التحريم (الآية: 8)
31	سورة التحريم (الآيتان: 9-10)
32	سورة التحريم (الآيتان: 11-12)
33	فرض كتابي رقم 2
34	تصحيح الفرض الكتابي رقم 2- دعم وتثبيت

الدرس 1

سورة الشورى ﴿الآيات: 1-4﴾

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف عظمة الله تعالى وكمال قدرته.

2 - أن أستنتج خطورة الشرك وعواقبه.

3 - أن أستحضر قدرة الله تعالى في حياتي لتقوية إيماني وتزكية نفسي.

تمهيـد

سورة الشورى مكية، وآياتها خمسون، وقد تضمنت بيان مصدر الوحي المنزل على الرسول محمد ﷺ وعلى الرسل والأنبياء السابقين، ثم عرضت لحال المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر، مقارنا بحال الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم ويطلبون المغفرة لمن في الأرض.

فأين تتجلى عظمة الله وقدرته من خلال هذه الآيات؟ وكيف حذر الله سبحانه عباده من الإشراك به؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى الذِينَ مِن قَبْلِكَ اَ۬للَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)

لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (2) يَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ

يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ اَ۬للَّهَ

هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿3﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿4﴾ [سورة الشورى: 1-4]

الفهم

الشرح:

حمٓ عٓسٓقٓ: حروف متقطعة لا يعلم حقيقة معناها إلا الله سبحانه وتعالى.

يَتَفَطَّرْنَ: يتشققن.

أَوْلِيَآءَ: آلهة.

ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ: يحصي أعمالهم ليجازيهم عليها.

بِوَكِيلٍ: وكيل أي: موكل على حفظ أعمالهم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- أين تتجلى عظمة الله سبحانه في هذه الآيات؟

2- مم حذر الله سبحانه في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: كمال قدرة اللّه سبحانه

افتتح الله عز وجل سورة الشورى بقوله: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾، والكلام فيه كسائر حروف الهجاء. قال ابن جزي: «قال قوم: لا تفسر لأنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلّا الله، قال أبو بكر الصديق: لله في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن فواتح السور.

وقال قوم: تفسر، ثم اختلفوا فيها، فقيل: هي أسماء الله، وقيل: أشياء أقسم الله بها، وقيل: هي حروف مقطعة من كلمات» [التسهيل:68/1].

وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ الكاف نعت لمصدر محذوف، والإشارة بذلك إلى ما تضمنه القرآن أو السورة، وقيل: الإشارة لقوله: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ فإن الله أنزل هذه الأحرف بعينها في كل كتاب أنزله، وفي صحة هذا نظر. ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ أي: وإلى الرسل من قبلك ﴿ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ اسم الله فاعل بـ﴿يُوحِيٓ﴾، وأما على قراءة (يوحى) بالفتح، فهو فاعل بفعل مضمر، دل عليه يوحى، كأن قائلا قال: من الذي أوحى؟ فقيل: الله.

وقوله عز وجل: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: «الجميع عبيد له وملك له، تحت قهره وتصريفه» [تفسير ابن كثير: 190/7]. ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أي: وهو العلي شأنه العظيم برهانه [التسهيل: 244/3].

وقوله سبحانه: ﴿يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ﴾ أي: يتشققن من خوف الله وعظيم جلاله، وقيل: من قول الكفار: اتخذ الله ولدا، فهي كالآية التي في مريم: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٩٠ يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩١ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩٢﴾ [مريم:90 – 92]، قال ابن عطية: وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود؛ لأن الله تعالى لا يوصف به. والضمير في قوله: ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ للسموات، والمعنى: يتشققن من أعلاهن، وذلك مبالغة في التهويل، وقيل: الضمير للأرضين، وهذا بعيد، وقيل: الضمير للكفار كأنه قال: من فوق الجماعات الكافرة التي من أجل أقوالها تكاد السموات يتفطرن، وهذا أيضا بعيد.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي: ينزهون الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، ويحمدونه على نعمه وآلائه، ويسألونه المغفرة لمن في الأرض. وقوله: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عموم يراد به الخصوص لأن

الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض، فهي كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: 6]. وقيل: إنّ ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نسخ هذه الآية، وهذا باطل، لأن النسخ لا يدخل في الأخبار. ويحتمل أن يريد بالاستغفار طلب الحلم عن أهل الأرض مؤمنهم وكافرهم، ومعناه: الإمهال لهم، وأن لا يعاجلوا بالعقوبة فيكون عاما، فإن قيل: ما وجه اتصال قوله: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ..﴾ بما قبلها؟ فالجواب أننا إن فسرنا تفطر السموات بأنه من عظمة الله، فإنه يكون تسبيح الملائكة أيضا تعظيما له، فينتظم الكلام، وإن فسرنا تفطرها بأنه من كفر بني آدم فيكون تسبيح الملائكة تنزيها لله تعالى عن كفر بني آدم وعن أقوالهم القبيحة.

ثانيا: تحذير الله سبحانه عباده من الشرك

بعد بيان قدرة الله تعالى وعظمته، حذر الله سبحانه المشركين من ادعائهم الشنيع بأن مع الله آلهة أخرى يعبدونها ويرجون منها الثواب ويخافون العقاب، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ «يعني: المشركين، ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: شهيد على أعمالهم، يحصيها ويعدها عدا، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل» [تفسير ابن كثير: 7/192].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- بيان أن ما جاء على لسان الأنبياء والمرسلين هو وحي منه سبحانه، وفي ذلك إشارة إلى وحدة الرسالات وتكاملها.
- تنبيهه سبحانه عباده على تجليات قدرته وعظيم سلطانه.
- بيان فضل الله على عباده إذ هيأ ملائكته للاستغفار لهم.
- في إخباره تعالى باستغفار الملائكة لأهل الأرض، وأنه سبحانه غفور رحيم دعوة للعباد للاستغفار اقتداءً بالملائكة واستنزالا لمغفرته سبحانه.

- لم يكلف الله سبحانه رسوله ﷺ بإجبار الناس على الإيمان، فمهمته تقتصر على التبليغ، والإرشاد والدلالة على الخير.

التقويم

1- ما هي مظاهر قدرة الله سبحانه من خلال الآيات؟

2- ما الغاية من تحذير الله عباده من الشرك؟

3- كيف أقوي إيماني من خلال استحضار معاني هذه الآيات؟

الاستثمار

ذكر ابن جزي رحمه الله في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أن الآية فيها «عموم يراد به الخصوص؛ لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض» مشبها ذلك بقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (6)﴾ [غافر: 6].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أوضح المقصود بالعموم الذي يراد به الخصوص، مستفيدا مما أدرسه في مادة أصول الفقه.

2- أبين مقصد استغفار الملائكة لمن في الأرض.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 5–7 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1– أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: لِّتُنذِرَ - أُمَّ ٱلْقُرَىٰ - يَوْمَ ٱلْجَمْعِ - ٱلْوَلِيُّ.

2– أبحث عن الغاية من قسمة الناس إلى سعداء وأشقياء.

الدرس 2
سورة الشورى ﴿الآيات: 5-7﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الحكمة من وحي الله إلى رسوله ﷺ.

2- أن أستنتج المقصد من قسمة الناس إلى سعداء وأشقياء.

3- أن أهتدي بالقرآن الكريم لأكون من السعداء يوم القيامة.

تمهيد

بعد بيان الآيات السابقة قدرة الله سبحانه، وتحذيره العباد من خطورة الإشراك به؛ ذكر في هذه الآيات الغاية من إنزال القرآن الكريم على نبيه ﷺ بلسان عربي مبين، والحكمة من قسمة الناس إلى فريقين سعداء في جنات النعيم، وأشقياء في نار السعير.

فما الحكمة من وحي الله سبحانه؟ وما الغاية من اختلاف الناس في الإيمان؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا
وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ (5) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ
لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ (6) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (7)﴾ [سورة الشورى: 5-7]

الفهم

الشرح:

﴿لِّتُنذِرَ﴾: لتخوف وتحذر.

﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: مكة.

﴿ٱلسَّعِيرِ﴾: النار الموقدة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما الغاية من الوحي بالقرآن إلى النبي ﷺ؟

2- كيف يكون اختلاف مصير الناس يوم الجمع؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الغاية من وحي الله إلى رسوله ﷺ

بين الله سبحانه الغاية من وحيه إلى رسوله ﷺ بالقرآن الكريم فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ أي: «وكما أوحينا إليك وإلى من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا بيناه بلغة العرب. وقيل: أي: أنزلنا عليك قرآنا عربيا بلسان قومك، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه. والمعنى واحد» [تفسير القرطبي: 6/16].

وقوله سبحانه: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: لتخوف وتحذر أهل مكة، فـ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة، والمراد أهلها، ولذلك عطف عليه من حولها، يعني: من الناس. وفي الآية مجاز مرسل. وسميت مكة أم القرى؛ لأنها أفضل بقاع الأرض، لقوله ﷺ: «وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ» [سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب في فضل مكة]. ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

يعني يوم القيامة وسمي بذلك لأن الخلائق يجتمعون فيه. ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:9].

ثانيا: المقصد من اختلاف الناس في الإيمان

بعد بيان الله سبحانه الغاية من وحيه لنبيه ﷺ، وضح مقصد اختلاف الناس إلى مؤمنين وغيرهم وجزاء كل منهم، فقال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: أي لو شاء الله لجعل الناس جميعا على دينٍ واحدٍ وهو الإسلام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة:13] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99]

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ أي: ولكن أراد مشيئة أخرى جرت على وفق حكمته، وهي أنْ خَلَقَهم قابلين للهدى والضلال بتصاريف عقولهم وميولاتهم، ومكنهم من كسب أفعالهم وأوضح لهم طريق الخير وطريق الشر بالتكليف، فكان منهم المهتدون وهم الذين شاء الله إدخالهم في رحمته، ومنهم الظالمون الذين ما لهم من ولي ولا نصير. [التحرير والتنوير (بتصرف): 39/25].

قال ابن عطية: «قَوَّى تعالى تسليةَ نبيه عليه السلام بأن عَرَّفه أن الأمر موقوف على مشيئة الله من إيمانهم أو كفرهم، وأنه لو أراد كونَهم أمةً واحدة لَجمَعهم عليه، ولكنه يُدخِل من سَبقت له السعادة عنده في رحمته، وييسِّره في الدنيا لعمل أهل السعادة، وأن الظالمين بالكفر الميسَّرين لعمل الشِّقْوة ما لهم من وليّ ولا نصير». [تفسير ابن عطية: 27/5].

وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أم منقطعة، والأولياء هنا المعبودون من دون الله. والمعنى: «يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، ومخبرا أنه

هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده، فإنه القادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير» [تفسير ابن كثير: 193/7].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- تأكيد صدق الرسول محمد ﷺ في رسالته.
- بيان أفضلية مكة وشرفها على سائر بقاع الدنيا.
- عموم الرسالة المحمدية لسائر من في الأرض.
- التنبيه على أن انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء، تَمَّ وَفْقَ حكمةِ يعلَمها الله سبحانه.
- الله سبحانه هو الولي والنصير، ومن طلب ولاية غيره هلك.

التقويـم

1 – لماذا أنزل القرآن الكريم بلسان عربي؟

2 – ما الحكمة من خلق الله الناس مختلفين ولم يجمعهم على ملة واحدة؟

3 – كيف أسترشد بهذه الآيات في التوكل على الله وحده والإعراض عما سواه؟

الاستثمار

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَفي يَدِه كِتَابَانِ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الكِتَابَانِ؟ فَقُلْنَا: لاَ يَا رَسُولَ الله إلاَّ أَنْ تُخْبِرَنَا، فَقَالَ لِلَّذِي في يَدِه اليُمْنَى: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فيه أَسْمَاءُ أَهْلِ الجَنَّة وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي فِي شِمَالِهِ: هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ

وَقَبَائِلِهِمْ، ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلاَ يُزَادُ فِيهِمْ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: فَفِيمَ العَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ أَمْرٌ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ فَقَالَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدَيْهِ فَنَبَذَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: فَرَغَ رَبُّكُمْ مِنَ العِبَادِ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 5]»

[سنن الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- ما المقصد من تقسيم الله سبحانه عباده فريقين؟

2- أبين الغاية من العمل مستفيدا مما درسته في مادة التوحيد.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 8-10 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أُنِيبُ - يَذْرَؤُكُمْ - مَقَالِيدُ - يَبْسُطُ - وَيَقْدِرُ.

2- أستخرج صفات الله سبحانه الواردة في الآيات.



سورة الشورى: الآيات 8-10

أهداف الدرس

1- أن أسلم بوجوب إرجاع الأمور إلى الله وحده عند الاختلاف.

2- أن أدرك أن التوكل والإنابة تكون إلى الله وحده.

3- أن أتوكل على الله وأفوض كل الأمور إليه سبحانه.

تمهيـــد

أرشدت هذه الآيات الكريمة العباد إلى من ينبغي لهم الرجوع إليه عند اختلافهم، والتوكل عليه في أمورهم والاعتماد عليه في شؤونهم، وبينت علة ذلك.

فإلى من يجب الرجوع إلى حكمه عند الاختلاف؟ ولماذا؟ وما القيم التي ترشد إليها الآيات في علاقة المسلم بربه عز وجل؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَا اَخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اَللَّهِ ذَٰلِكُمُ اُللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ 8 فَاطِرُ اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنَ اَنفُسِكُمُۥٓ أَزْوَاجاً
وَمِنَ اَلْأَنْعَٰمِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ اَلسَّمِيعُ اُلْبَصِيرُ 9 لَهُۥ مَقَالِيدُ
اُلسَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ اُلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ 10﴾

[سورة الشورى: 8-10]

الفهم

الشرح :

يَذْرَؤُكُمْ: يخلقكم نسلا بعد نسل.

يَبْسُطُ: يوسع.

وَيَقْدِرُ : يُضَيِّق.

استخلاص مضامين الآيات :

1 – لمن الحكم في الأمور المختلف فيها بين الناس؟

2 – من يستحق التوكل عليه ودوامَ الإنابة إليه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الحكم لله وحده

حث الله سبحانه على وجوب الرجوع إليه في الأمور المختلَفِ فيها، فقال جل وعلا: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: وما اختلفتم فيه أنتم والكفار من أمر الدين فحكمه إلى الله، بأن يعاقب المبطلَ ويُثيب المُحقَّ. أو ما اختلفتم فيه من الخصومات فتحاكموا فيه إلى النبي ﷺ، كقوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: 58].
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي: الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده، وفيه إضمار، أي: قل لهم يا محمد: ذلكم الله الذي يحيي الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي. عليه اعتمدت، وإليه أرجع. [تفسير القرطبي: 7/16 (بتصرف)].

ثانيا: استحقاق الله عز وجل الولاء والثناء

بعد بيان الآية الأولى وجوب الاحتكام إلى الله وحده في الأمور المختلف فيها؛ بينت هذه الآيات أنه سبحانه المستحق للولاء والتوكل عليه، بما تفضل به على خلقه، فقال عز وجل: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما على غير مثال سابق ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني الإناث ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ يحتمل أن يريد الإناث أو الأصناف. ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ أي: يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، وقيل: يكثركم، والضمير المجرور يعود على الجعل الذي يتضمنه قوله: جعل لكم، وهذا كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه، وقيل: الضمير للتزويج الذي دل عليه قوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾، وقال الزمخشري: تقديره يذرؤكم في هذا التدبير. وهو أن جعل الناس والأنعام أزواجا، والضمير في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ خطاب للناس والأنعام غلّب فيه العقلاء على غيرهم. فإن قيل: لم قال: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ وهلا قال: يذرؤكم به؟ فالجواب: أن هذا التدبير جعل كالمنبع والمعدن للبث والتكثير قاله الزمخشري.

وفي قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف في قول الجمهور زائدة للتأكيد، والمعنى ليس مثله شيء، وقال الطبري وغيره ليست بزائدة، ولكن وضع مثله موضع هو، والمعنى ليس كهو شيء. قال الزمخشري: وهذا كما تقول: مثلك لا يبخل، والمراد: أنت لا تبخل، فنفى البخل عن مثله والمراد نفيه عن ذاته.

وقوله سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَقَالِيدُ: «مفاتيح وقيل خزائن، واحدها: إقليد، وقيل لا واحد لها من لفظها، وأصلها كلمة فارسية» [التسهيل: 2/225]. ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: «يوسع على من يشاء، ويضيق على من يشاء، وله الحكمة والعدل التام» [تفسير ابن كثير: 7/194].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب الاحتكام إلى القرآن والسنة لتدبير الاختلاف وحسم النزاع.
- فضيلة التوكل على الله والرجوع إليه في كل الأمور.
- تنزيه الله سبحانه عن الشبيه والمثيل وإثبات صفات الكمال له سبحانه.
- الزواج من سنن الله تعالى، به يتكاثر النوع ويستمر النسل.
- مفاتيح الأرزاق بيد الله عز وجل، يرزق من يشاء من عباده وفق حكمته وإرادته.

التقويم

1- إلى من يجب الرجوع في حالة الاختلاف؟ ولماذا؟

2- لماذا استحق الله سبحانه الولاء والتوكل عليه؟

3- كيف أحقق التوكل على الله سبحانه من خلال الآيات؟

الاستثمار

قال الله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 9].

أتدبر الآية وأستخرج صفات الله تعالى المضمنة فيها، ثم أبين مفهوم كل واحدة منها ونوعها، مسترشدا بما درسته في مادة التوحيد من خلال ملء الجدول الآتي، بعد نقله إلى دفتري:

	صفة الله تعالى	مفهومها	نوعها
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾			

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 11 – 13 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: - كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ - يَجْتَبِيٓ - بَغْيًۢا - لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ.

2 – أستنتج من خلال الآيات تكامل الشرائع السماوية.



سورة الشورى ﴿الآيات: 11-13﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف علاقة الشرائع السماوية فيما بينها.

2- أن أستنتج أسباب اختلاف الناس في الدين.

3- أن أهتدي بهذه الآيات لأستقيم على طاعة الله وعبادته.

تمهيد

بعد تعظيم الله سبحانه شأن ما أوحى به إلى نبيه محمد ﷺ؛ بين في هذه الآيات علاقة الشرائع السماوية ببعضها من لدن آدم عليه السلام إلى عهد شريعة محمد ﷺ خاتمة هاته الشرائع.

فما هي طبيعة تلك العلاقة؟ وإلام وجهت الآيات النبي ﷺ وأتباع شريعته؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (11) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ
وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (12) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ

﴿... كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (13)﴾ [سورة الشورى: 11-13]

الفهم

الشرح:

كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ: صعب وشق عليهم.

يَجْتَبِىٓ: يصطفي ويختار.

لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ: لعجل لهم العقوبة.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما الأمور التي تتوحد فيها الشرائع؟

2- بم أمر الله عز وجل في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: وحدة الشرائع في أصولها

بين الله سبحانه في هذا الآيات تكامل الشرائع ووحدتها في أصولها، فقال عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ اتفق دين سيدنا محمد ﷺ مع جميع الأنبياء في أصول الاعتقادات، وذلك هو المراد هنا، ولذلك فسره بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يعني إقامة الإسلام، الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبالدار الآخرة، وأما الأحكام الفرعية، فاختلفت فيها الشرائع فليست تراد هنا. قال النبي ﷺ: «والأنبياء

إخوة لعَلّات، أمهاتُهم شتّى، ودينهم واحد» [البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾]. وإخوة العلاّت: الإخوة لأب من أمهات شتى، والعلات: الضرائر، وقوله: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ أي: لا تختلفوا فيه.

وقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ﴾ يحتمل أن تكون «أن» في موضع نصب بدلا من قوله: ﴿مَا وَصَّىٰ﴾ أو في موضع خفض بدلا من ﴿بِهِۦ﴾، أو في موضع رفع على خبر ابتداء مضمر، أو تكون مفسرة لا موضع لها من الإعراب.

وقوله: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ أي: صعب الإسلام على المشركين. ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ الضمير في إليه يعود على الله تعالى، وقيل على الدين. والمعنى: «الله يجلب ويجمع إلى الدين بالتوفيق والتسديد من يشاء من عباده ويقبل على طاعته» [تفسير النسفي: 248/3(بتصرف)].

ثانيا: الدعوة إلى الاستقامة على الدين وعدم التفرق فيه

حذر الله عز وجل عباده من الاختلاف والفرقة فقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ يعني أهل الأديان المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: «إلا من بعد أن علموا أن الفرقة ضلال وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، حسداً وطلباً للرياسة والاستطالة بغير حق» [تفسير النسفي: 248/3-249 (بتصرف)].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يعني القضاء السابق بأن لا يفصل بينهم في الدنيا ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ أي: «لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعا» [تفسير ابن كثير: 195/7].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ من اليهود والنصارى، وقيل: يعني العرب، والكتاب على هذا القرآن ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾ الضمير للكتاب، أو للدين أو لسيدنا محمد ﷺ.

ثم قال عز وجل: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِمۡ﴾ أي: إلى ذلك الذي شرع الله، فادع الناس، فاللام بمعنى إلى، والإشارة بذلك إلى قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ أو إلى قوله: ﴿مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ وقيل: إن اللام بمعنى أجل، والإشارة إلى التفرق والاختلاف، أي: لأجل ما حدث من التفرق ادع إلى الله، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ معطوفا، وعلى الأول يكون مستأنفا، فيوقف على فادع واستقم ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ﴾ أي: دم على ما أمرت به من عبادة الله وطاعته وتبليغ رسالته، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ الضمير للكفار، وأهواؤهم ما كانوا يحبون من الكفر والباطل كله.

وقوله عز وجل: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ أي: «صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم». [تفسير ابن كثير: 7/195–196]

﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ قيل: يعني العدل في الأحكام إذا تخاصموا إليه، ويحتمل أن يريد العدل في دعائهم إلى دين الإسلام، أي: أمرت أن أحملكم على الحق ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ أي: لا جدال ولا مناظرة، فإن الحق قد ظهر وأنتم تعاندون ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة ليقضي بيننا بالحق، وإليه المرجع والمآب.

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- التنبيه على وحدة أصول الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.
- الاختلاف في الدين ينشأ عن الحسد والبغض، لذلك ذمه الله سبحانه وحذر عباده من عواقب ذلك.
- وجوب الإيمان بسائر ما أنزل الله من الكتب والاستقامة على دين الإسلام ونشر قيم الخير والفضيلة بين الناس.

التقويم

1 - فيم تتفق الشريعة المحمدية مع غيرها من الشرائع السماوية؟ وفيم تتكامل؟

2 - عم نهى الله سبحانه عباده في هذه الآيات؟

3 - ما المقصود بالاستقامة من خلال هذه الآيات؟

الاستثمار

قال ابن عجيبة رحمه الله: «إذا استولت الغفلة على الناس، وتفرّقت القلوب، يجب على أهل البصيرة النافذة أن يتحركوا لوعظ الناس وتذكيرهم، ولا يلتفتون إلى أهوائهم، وما هم مشغوفون به من حظوظهم. قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فتدعون الناس إلى التوحيد، وإقامة الشرائع، بامتثال الأوامر، واجتناب المناكر، ثم يدسونهم إلى حضرة الحق، إن رأوا منهم مَن هو أهله، فمَن فعل هذا كان قدره عند الله عظيماً، وجاهه كبيراً».

[البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 205/5]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أستنتج الأسلوب الدعوي الوعظي الوارد في النص، والآية المتضمنة له.

2 - أبحث عن أفضل أسلوب لدعوة الناس.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 14 - 17 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 - أشرح العبارات الآتية: يُحَآجُّونَ - دَاحِضَةٌ - مُشْفِقُونَ مِنْهَا - يُمَارُونَ.

2 - كيف أدحض حجة المجادلين في دين الله سبحانه؟

الدرس 5

سورة الشورى ﴿الآيات: 14–17﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف أسلوب القرآن الكريم في إبطال حجة المخالفين.

2 – أن أدرك قرب الساعة وموقف المؤمنين منها.

3 – أن أوقن بوقوع الساعة وأستعد لها بالعمل الصالح.

تمهيد

تقرر الآيات الكريمة أن الذين يجادلون في الله ودينه بعد أن آمن به الناس، وفي وقوع الساعة حجتهم باطلة أمام الحجة القوية التي جاء بها القرآن الكريم وضلالهم بعيد.

فكيف أبطل الله حجة هؤلاء المجادلين في الحق المنكرين للساعة؟ وما موقف المؤمنين منها؟ وأين يتجلى لطف الله سبحانه بعباده؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَالذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اِ۬للَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اَ۟سْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ
وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (14) اُ۬للَّهُ الذِےٓ أَنزَلَ اَ۬لْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اَ۬لسَّاعَةَ قَرِيبٌ (15) يَسْتَعْجِلُ بِهَا اَ۬لذِينَ لَا يُومِنُونَ بِهَا وَالذِينَ ءَامَنُواْ
مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا اَ۬لْحَقُّ أَلَآ إِنَّ اَ۬لذِينَ يُمَارُونَ فِي اِ۬لسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ (16)
اُ۬للَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَّشَآءُ وَهُوَ اَ۬لْقَوِيُّ اُ۬لْعَزِيزُ (17)﴾ [سورة الشورى: 14–17]

الفهم

الشرح:

يُحَآجُّونَ: يجادلون ويخاصمون.

دَاحِضَةٌ: باطلة زائلة.

يُمَارُونَ: يجادلون ويلحون في الخصومة.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما هي الأمور التي يجادل فيها المشركون بحججهم الباطلة في الآيات؟

2 - على ماذا أكدت هذه الآيات؟ وممّ حذرت؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بطلان حجة المجادلين في دين الله

قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ أي: يجادلون المؤمنين في دين الإسلام، ويعني كفار قريش، وقيل: اليهود ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ الضمير يعود على الله أي: من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا في دينه، وقيل: يعود على الدين، وقيل: على محمد ﷺ، والأول أظهر وأحسن. ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: زاهقة باطلة ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: وعليهم غضب من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة. «قال ابن عباس، ومجاهد: جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله، ليصدوهم عن الهدى، وطمعوا أن تعود الجاهلية» [تفسير ابن كثير: 196/7].

ثانيا: تأكيد صدق القرآن الكريم وتحذير المكذبين من عذاب الله

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني: الله سبحانه الذي أنزل جنس الكتاب ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: بالواجب أو متضمنا الحق ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ قال ابن عباس وغيره يعني: العدل، ومعنى إنزال العدل، إنزال الأمر به في الكتب المنزلة، وقيل: يعني الميزان المعروف، فإن قيل: ما وجه اتصال ذكر الكتاب والميزان بذكر الساعة؟ فالجواب أن الساعة يوم الجزاء والحساب، فكأنه قال: اعدلوا وافعلوا الصواب قبل اليوم الذي تحاسبون فيه على أعمالكم ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ أي: وما يخبرك ويعلمك؟ ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ جاء ﴿قَرِيبٞ﴾، بالتذكير؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي، ولأن المراد به وقت الساعة ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا﴾ أي: يطلبون تعجيلها استهزاء بها، وتعجيزا للمؤمنين. ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ أي: المشركون المكذبون ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ أي: إن الذين آمنوا يستشعرون الخوف والخشية من الساعة مخافة تفريطهم في الدنيا، ويعلمون أنها الحق من عند الله واقعة لا محالــة.

وقوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ﴾ قوله: ﴿يُمَارُونَ﴾ أي: يجادلون ويخالفون ﴿لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ «عن الحق؛ لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله تعالى، وقد دل الكتاب والسنة على وقوعها، والعقول تشهد على أنه لا بد من دار جزاء ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ في إيصال المنافع وصرف البلاء من وجه يلطف إدراكه، وهو بَرٌّ بليغُ البِرّ بهِم، يوصِلُ بِرَّه إلى جميعهم. وقيل: هو مَن لطُف بالغوامض علمُه وعظم عن الجرائم حلمه، أو من ينشر المناقب ويستر المثالب، أو يعفو عمن يهفو، أو يعطي العبد فوق الكفاية ويكلفه الطاعةِ دون الطاقة» [تفسير النسفي: 3/250–251] ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ يعني الرزق الزائد على المضمون لكل حيوان في قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: 6] أي: ما تقوم به الحياة، فإن هذا على العموم لكل

حيوان طول عمره، والزائد خاص بمن شاء الله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: «الباهر القدرة الغالب على كل شيء المنيع الذي لا يغلب» [تفسير النسفي: 3/251].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- الغاية من إنزال القرآن الكريم هو الحكم بين الناس والفصل بينهم بالقسط.
- الإشارة إلى قرب الساعة لتنبيه الناس على الإكثار من الأعمال الصالحة.
- المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها، أما المؤمنون بها فهم موقنون أنها حق.
- الخشية صفة المؤمنين مهما حسنت أعمالهم، تعظيما لربهم وخوفا من يوم لقائه.
- بيان نعم الله على عباده ولطفه بهم، ليقابلوا ذلك بالشكر والطاعة.

التقويم

1- لماذا كانت حجة المجادلين في دين الله باطلة؟

2- من يستعجل بالساعة ولماذا؟

3- ما هي تجليات لطف الله تعالى بعباده؟

الاستثمار

قال الله سبحانه:

1- ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ﴾ [الشورى: 16].

2- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سبأ: 29].

3 - ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: 15].

4- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 45].

أتدبر الآيات وأجيب عن الآتي:

1 - أصوغ مضمونا عاما للآيات.

2 - أبحث عن سبب الاستعجال الوارد في الآيات وآثاره السلبية.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 18 - 20 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ - نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ - كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ - مُشْفِقِينَ - رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ.

2 - أبحث عن الحكمة من تأجيل الفصل بين العباد إلى يوم القيامة.



سورة الشورى ﴿الآيات: 18-20﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الأساس الذي يجازى عليه العباد.

2- أن أدرك الحكمة من تأجيل الفصل بين العباد إلى يوم المعاد.

3- أن أشكر الله تعالى على لطفه بعباده.

تمهيـد

بعد أن بين سبحانه عظيم فضله على عباده، حثهم سبحانه في هذه الآيات على أن يقصدوا بأعمالهم الآخرة، مبينا سبحانه لطفه بعباده، وعظم جزاء المؤمنين يوم لقائه.

فما جزاء من كان قصده بعمله الآخرة؟ وأين يتجلى لطفه سبحانه بعباده؟ كيف يكون جزاء أهل الإيمان يوم لقاء ربهم؟

الآيات

قال الله عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (18) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (19)
تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (20)﴾

[سورة الشورى: 18-20]

الفهم

الشرح:

﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: العمل للآخرة.

﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين.

﴿رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾: أطيب بقاع الجنات.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هو أساس الجزاء على الأعمال في الآيات؟

2- لماذا أجل الله سبحانه الفصل بين العباد إلى يوم المعاد؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الجزاء من جنس العمل

لما بين الله سبحانه لعباده أنه كثير الإحسان إليهم، حثهم على الإكثار من الصالحات، ونبههم إلى عدم الاشتغال بالعمل للدنيا عن العمل للباقية، فقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قوله: ﴿حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ عبارة عن العمل لها، وكذلك حرث الدنيا، وهو مستعار من حرث الأرض، لأن الحراث يعمل وينتظر المنفعة بما عمل ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ عبارة عن مضاعفة الثواب، وهو مثل قوله سبحانه: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فَاطِر: 30] ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: ومن كان يريد بأعماله الدنيا وزينتها، نؤته منها ما قُدّر له، لأن كل واحد لا بد أن يصل إلى ما قُسم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ هذا للكفار، أو لمن كان يريد الدنيا خاصة ولا رغبة له في الآخرة. وفي هذا المعنى يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبي ابن كعب رضي الله عنه: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالرِّفْعَةِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ فِي

الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُم عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ» [مسند الإمام أحمد، مسند الأنصار].

ثانيا: الحكمة من تأجيل الفصل بين العباد

لما بين الله سبحانه قيمة أعمال الدنيا والآخرة، نبه إلى أسباب الشقاوة والضلال، فقال عز وجل: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والشركاء الأصنام وغيرها، وقيل: الشياطين، والضمير في ﴿شَرَعُوا﴾ للشركاء، وفي ﴿لَهُم﴾: للكفار، وقيل: بالعكس، والأول أظهر. و﴿لَمْ يَأْذَن﴾ بمعنى: لم يأمر، والمراد بما شرعوا من البواطل في الاعتقادات، وفي الأعمال، كالبَحِيرة والسائبة والوصيلة وغير ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لولا القضاء السابق بأن لا يقضى بينهم في الدنيا لقضي بينهم فيها ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ أي: ترى الظالمين في الآخرة «﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي وبَاله لاحِقٌ بهم أشفقوا أو لم يشفقوا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى المؤمنين ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا» [تفسير البيضاوي: 5 / 80].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب تقديم عمل الآخرة على عمل الدنيا.
- تقرير لطف الله عز وجل بعباده حيث لم يعجل عقوبتهم رجاء توبتهم.
- إنعام الله سبحانه على عباده المؤمنين بأفضل مقام في جنات النعيم.

التقويـم

1- كيف ينبغي أن يكون المسلم في جمعه بين العمل للدنيا والعمل للآخرة؟

2- ما الحكمة من إرجاء الله سبحانه الفصل بين عباده إلى يوم الدين؟

3- كيف أوظف معاني الآيات في تزكية نفسي وتحسين سلوكي؟

الاستثمار

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَت الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَت الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» [سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع].

أتأمل الحديث وأجيب عن الآتي:

1- أحدد العلاقة بين الحديث والآيات موضوع الدرس.

2- كيف أزكي نفسي بما يرشد إليه الحديث؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 21-24 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ - ﴿يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ - ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ - ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾.

2- أبحث عن شروط التوبة من خلال تفسير هذه الآيات.

الدرس 7

سورة الشورى ﴿الآيات: 21-24﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف تجليات صدق الرسول ﷺ في تبليغ رسالة ربه.

2- أن أستنتج حق آل بيت النبوة على المسلمين.

3- أن أحرص على الأعمال الصالحة والتوبة الصادقة إلى الله سبحانه.

تمهيد

بعد أن بين الله سبحانه في الآيات السابقة بعض نعمه على عباده، بين أن ذلك عاجل بشرى أهل الإيمان في الدنيا، ونبه على مهمة الرسول ﷺ، مؤكدا صدقه ﷺ، ومرغبا عباده في الإقبال عليه والتوبة من الذنوب والمعاصي.

فما هي مهمة الرسول ﷺ؟ وما دلائل صدقه؟ وفيم تتجلى رحمة الله سبحانه بعباده؟

الآيات

قال الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا
حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (21) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ
قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (22) وَهُوَ الَّذِي
يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ (23) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (24)﴾

[سورة الشورى: 21-24].

الفهم

الشرح:

﴿يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾: يكتسبها.

﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾: نضاعف له الثواب.

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾: يتجاوز عن الذنوب والمعاصي.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما الجزاء الذي أوجبه الله لرسوله ﷺ نظير تبليغه رسالة ربه؟

2 – ما دلائل صدق الرسول ﷺ في دعوى النبوة؟

3 – بم وعد الله عباده التائبين في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: تبليغ الرسول ﷺ رسالته دون طلبه أجرا ماديا على ذلك

بعد أن ذكر الله سبحانه بعض نعمه على عباده في الآيات السابقة، وبين أن ذلك فضل كبير منه سبحانه، أشار إلى أن ذلك يعد بشارة عاجلة لعباده المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ تقديره يبشر به، وحذف الجار والمجرور.

وقوله عز وجل: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: «قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة» [تفسير ابن كثير: 199/7].

وفي قوله سبحانه: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أربعة أقوال:

الأول: أن القربى بمعنى القرابة، و﴿فِي﴾ بمعنى: من أجل، والمعنى: لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم. فالمقصد على هذا استعطاف قريش، ولم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة.

الثاني: أن القربى بمعنى الأقارب، أو ذوي القربى، والمعنى إلا أن تودّوا أقاربي وتحفظوني فيهم. والمقصد على هذا وصية بأهل البيت.

الثالث: أن القربى قرابة الناس بعضهم من بعض، والمعنى: أن تودوا أقاربكم. والمقصود على هذا وصية بصلة الأرحام.

الرابع: أن القربى التقرّب إلى الله، والمعنى إلا أن تتقربوا إلى الله بطاعته، والاستثناء على القول الثالث والرابع منقطع، وأما على الأول والثاني فيحتمل الانقطاع؛ لأن المودّة ليست بأجر، ويحتمل الاتصال على المجاز، كأنه قال: لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة، فجعل المودة كالأجر. ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ قوله: ﴿يَقْتَرِفْ﴾ أي: يكتسب ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ يعني مضاعفة الثواب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: «يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات، فيستر ويغفر، ويضاعف فيشكر» [تفسير ابن كثير: 204/7].

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أم منقطعة للإنكار والتوبيخ، والمعنى: يقول مشركو قريش افترى محمد ﷺ على الله كذبا، بادعائه النبوة والرسالة ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فالمقصد بهذا قولان:

أحدهما: أنه رد على الكفار في قولهم: افترى على الله كذبا، أي: لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك، ولكنك لم تفتر على الله كذبا فقد هداك وسددك.

والثاني: أن المراد: إن يشأ الله يختم على قلبك بالصبر على أقوال الكفار وتحمل أذاهم ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ هذا فعل مستأنف غير معطوف على ما قبله، لأن الذي قبله

مجزوم، وهذا مرفوع حذفت واوه من المصحف، فيوقف على ما قبله ويبدأ به. وفي المراد به وجهان:

أحدهما: أنه من تمام ما قبله، أي: لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذي كنت تفتريه لو افتريت.

والثاني: أنه وعد لرسول الله ﷺ بأن يمحو الله الباطل وهو الكفر.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ويحق الحق وهو الإسلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ «عام، أي: بما في قلوب العباد. وقيل: خاص. والمعنى أنك لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا لَعَلِمَهُ وطَبَعَ على قلبك» [تفسير القرطبي: 16/25].

ثانيا: وعد الله بقبول توبة عباده

بين الله سبحانه في هذه الآيات أنه يقبل توبة عباده، فقال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿عَنْ﴾ هنا بمعنى من، وكأنه قال: التوبة الصادرة من عباده. وقبول التوبة على ثلاثة أوجه:

أحدها: التوبة من الكفر، فهي مقبولة قطعا.

والثاني: التوبة من مظالم العباد، فهي غير مقبولة حتى تُرَدَّ المظالمُ أو يُستَحل منها.

والثالث: التوبة من المعاصي التي بين العبد وبين الله، فالصحيح أنها مقبولة بدليل هذه الآية، وقيل: إنها في المشيئة.

﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ العفو مع التوبة على حسب ما ذكرنا، وأما العفو دون التوبة فهو على أربعة أقسام:

الأول: العفو عن الكفر، وهو لا يكون أصلا.

الثاني: العفو عن مظالم العباد، وهو كذلك.

الثالث: العفو عن الذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر، وهو حاصل باتفاق.

الرابع: العفو عن الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها في المشيئة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: وهو مطلع على ما يقومون به من أعمال.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معنى يستجيب: يجيب، والذين آمنوا مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: يجيبهم فيما يطلبون منه. وقال الزمخشري: أي: أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام.

و**الثاني:** أن معناه يجيب، والذين آمنوا فاعل، أي: يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دين.

و**الثالث:** أن معناه: يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم، واستفعل بهذا على بابه من الطلب، والأول أرجح لدلالة قوله: ويزيدهم من فضله، ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل. ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أي: يزيدهم ما لا يطلبون، زيادة على الاستجابة فيما طلبوا، وهذه الزيادة روي عن النبي ﷺ أنها الشفاعة والرضوان.

وقوله سبحانه: ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ «لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل، ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم» [تفسير ابن كثير: 7/206].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب حفظ حقوق الأقارب، وبذل الاحترام اللازم لهم.
- وجوب حب أهل بيت الرسول ﷺ، وتجنب كل ما يسيء إلى مقامهم الشريف.
- مضاعفة الله تعالى أجر المحسنين وزيادته من فضله ثواب المؤمنين.

• ضرورة تجديد التوبة بالليل والنهار، مع الحرص على توفر شروطها، طمعا في قبولها عند الله سبحانه.

التقويم

1 - ما الأمور التي تثبت صدق الرسول ﷺ في تبليغ رسالته؟

2 - ما شروط التوبة التي تضمنتها الآيات؟ وما الشروط الأخرى المتبقية؟

3 - كيف أهتدي بهذه الآيات في تزكية نفسي وتقوية إيماني؟

الاستثمار

عن الحارث بن سويد، حدثنا عبد الله بن مسعود، حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه، قال: «إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُلٍ نَزَلَ مَنْزِلًا وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الحَرُّ وَالعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي، فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ»

[صحيح البخاري: كتاب الدعوات، باب التوبة].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أستنتج القيم الواردة في النص وأربطها بمضامين الآيات.

2 - كيف أتمثل تلك القيم في حياتي؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 25 – 27 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بَسَطَ – لَبَغَوْاْ – بِقَدَرٍ – بَثَّ.

2 – ما الحكمة من تفاوت الناس في أرزاقهم؟



سورة الشورى، الآيات: 25-27

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف الحكمة من تفاضل الناس في الأرزاق.

2 - أن أستنتج من الآيات دلائل القدرة الإلهية.

3 - أن أقنع بما يسر الله لي من رزق.

تمهيـــد

بعد بيان الله سبحانه في الآيات السابقة لطفه بعباده وإجابته دعاء المؤمنين منهم؛ وضح في هذه الآيات حكمته من عدم استجابته لبعض رغباتهم وتفاوتهم في أرزاقهم، وأكد رحمته بهم بتفريج كربهم وتيسير أمورهم بعد العسر والمشقة، ثم بين دلائل قدرته وعظمته في خلق السماء والأرض وما فيهما.

فما هي الحكمة من تفضيل الله سبحانه بعض عباده على بعض في الرزق؟ وما دلائل قدرته وعظمته؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ
بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (25) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا
وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (26) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا
مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (27)﴾ [سورة الشورى: 25-27].

الفهم

الشرح:

بَسَطَ: وسَّع.

لَبَغَوْاْ: لطغوا وعصوا وظلموا.

بِقَدَرٍ: بتقدير.

بَثَّ: نشر.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما الحكمة التي تضمنتها الآيات لتقدير الأرزاق؟

2- ما أدلة القدرة الإلهية الواردة في الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: حكمة اللّه سبحانه في تقسيم الأرزاق على عباده

بين الله سبحانه في هذه الآيات أن لا يمنح العباد من النعم إلا ما تقتضيه مصلحتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لو وسع الله سبحانه لعباده في الرزق، لبغى بعضهم على بعض وطغوا؛ لأن الغنى يوجب الطغيان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: 6-7]، وقال بعض الصحابة: فينا نزلت لأنا نظرنا إلى أموال الكفار فتمنيناها. ويدل على هذا المعنى حديث أبي سعيد الخذري أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ» قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: «زَهْرَةُ الدُّنْيَا (...) وَإِنَّ هَذَا

المَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ» [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: «ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم، وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر» [تفسير ابن كثير: 206/7]. ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: «يعلم أحوالهم، فيقدر لهم ما تقتضيه حكمته، فيفقر ويغني، ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط، ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا، وما ترى من البسط على من يبغي ومن البغي بدون البسط فهو قليل، ولا شك أن البغي مع الفقر أقل، ومع البسط أكثر وأغلب» [تفسير النسفي: 255/3].

وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ قيل لعمر رضي الله عنه: اشتد القحط وقنط الناس. فقال: الآن يمطرون، وأخذ ذلك من هذه الآية ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ قيل: يعني المطر فهو تكرار للمعنى الأول بلفظ آخر، وقيل: يعني الشمس، وقيل: بالعموم. ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: «وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه» [تفسير الطبري: 537/21].

ثانيا: من دلائل قدرة اللّه عز وجل وعظمته

بين الله سبحانه في هذه الآية أدلة قدرته وعظيم سلطانه، فقال عز من قائل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: «ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم، خَلْقُه السمواتِ والأرض» [تفسير الطبري: 538/21].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: وما نشر وفرق في السماء والأرض من دابة، أما في الأرض فلا إشكال فيه؛ لأن الدواب في الأرض، وأما في السماء فقيل:

يعني الملائكة وقيل: يمكن أن تكون في السماء دواب لا نعلمها نحن، وقيل: المعنى أنه بث في إحداهما، فذكر الاثنتين كما تقول في بني فلان كذا وإنما هو في بعضهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ يريد جمع الخلق في الحشر يوم القيامة.

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- أن الحكمة من تقدير أرزاق العباد وتفاضلهم فيها، الحد من وقوع الطغيان في الأرض بسبب عموم الغنى.
- وجوب شكر الله على نعمه والقناعة بما قسم من الرزق، والزهد فيما عند الغير.
- النهي عن اليأس من رحمة الله، لأنه بعد الشدة يأتي الفرج، وبعد العسر يأتي اليسر.

التقويم

1- ما الحكمة من تفاوت الناس في أرزاقهم؟

2- أستخلص من الآيات ما يدل على قدرة الله سبحانه وعظيم سلطانه.

3- كيف استرشد بهذه الآيات في الاتصاف بالقناعة والرضا؟

الاستثمار

أستنتج من الآيات موضوع الدرس القيمَ التي تضمنتها، مشيرا إلى مواضعها من الآيات، من خلال ملء الجدول الآتي، بعد نقله إلى دفتري:

القيم	الآيات أو أجزاؤها التي تتضمنها

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 28-32 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ - الْجَوَارِ - كَالْأَعْلَامِ - رَوَاكِدَ - يُوبِقْهُنَّ - مَحِيصٍ.

2- أبحث عن الآثار الحميدة للابتلاءات التي يمتحن الله بها الإنسان.



سورة الشورى ﴿الآيات: 28-32﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أسباب الابتلاء بالمصائب والمحن.

2- أن أدرك ما أفاضه الله على عباده من خيرات البر والبحر.

3- أن أشكر الله على نعمه وآلائه ابتغاء المزيد.

تمهيـد

بعد أن تضمنت الآيات السابقة القنوط الذي يصيب العباد عند انقطاع الغيث، بين الله سبحانه في هذه الآيات أسباب ما يصيب العباد من هذه الابتلاءات، ثم بين عز وجل مجموعة من مظاهر قدرته، محذرا من يجادل في آيات الله من عقابه سبحانه.

فما هي أسباب المصائب التي يبتلى بها العباد؟ وما هي مظاهر قدرة الله سبحانه وعظمته المتضمنة في الآية؟

الآيات

قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ
عَن كَثِيرٖ (28) وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا
نَصِيرٖ (29) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيَاحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ
عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ (30) أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ
عَن كَثِيرٖ (31) وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ (32)﴾

[سورة الشورى: 28-32]

الفهم

الشرح:

ٱلْجَوَارِ: السفن.

رَوَاكِدَ: ساكنة لا تتحرك.

مَّحِيصٍ: مهرب وملجأ.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - ما أسباب وقوع المصائب بالعباد؟

2 - بماذا استدل الله سبحانه في هذه الآيات على قدرته وعظمته؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الذنوب سبب المصائب

وضح الله سبحانه في هذه الآيات سبب وقوع المصائب بالعباد، فقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ المعنى أن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم وأموالهم إنما هي بسبب الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «لَا يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ، وَلَا عَثْرَةُ قَدَمٍ، وَلَا اخْتِلَاجُ عِرْقٍ، إِلَّا بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ» [شعب الإيمان للبيهقي، باب في الصبر على المصائب، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض من المصيبات].

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» [صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض]. وقرأ نافع وابن عامر بما كسبت بغير فاء على أن يكون ما أصابكم بمعنى الذي، وقرأ الباقون بالفاء على أن يكون ما أصابكم شرطا.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: ويعفو عن كثير «من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة. وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه، وأن ما عفا عنه مولاه أكثر، كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان، وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه؛ لأن جناية المعصية من وجه، وجناية الطاعة من وجوه، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب، ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة» [تفسير النسفي: 3/256]. ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: «لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء» [التسهيل: 2/124].

ثانيا: تسيير السفن الضخمة من آيات الله العظيمة

بين الله سبحانه في هذه الآيات أن السفن الضخمة التي تسير في البحر بإذن الله، دليل على قدرة الله العظيمة، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ قوله: ﴿ٱلْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السفينة ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ جمع علم، وهو الجبل ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ الضمير في ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ للجواري وفي ﴿ظَهْرِهِۦٓ﴾ للبحر، أي: لو أراد الله أن يسكن الرياح لبقيت السفن واقفة على ظهر البحر، فالمقصود تعديد النعمة في إرسال الرياح أو تهديد بإسكانه ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ﴾ عطف على يسكن الريح، ومعنى يوبقهن: يهلكهن بالغرق من شدة الرياح العاصفة. والضمير فيه للسفن، وفي ﴿كَسَبُواْ﴾ لركابها من الناس، والمعنى: أنه لو شاء لأغرقها بذنوب الناس. ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: يعلمون أنه لا مهرب لهم من الله. وقرأ نافع وابن عامر يعلم بالرفع على الاستئناف، وقرأ الباقون بالنصب، واختلف في إعرابه على قولين:

أحدهما: أنه نصب بإضمار أن بعد الواو لما وقعت بعد الشرط والجزاء، لأنه غير واجب. وأنكر ذلك الزمخشري وقال: إنه شاذ فلا ينبغي أن يحمل القرآن عليه.

و**الثاني:** قول الزمخشري إنه معطوف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم، قال: ونحوه من المعطوف على التعليل المحذوف في القرآن كثير، ومنه قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: 20].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب الابتعاد عن الذنوب والمعاصي للنجاة من مصائب الدنيا والآخرة.
- من فضل الله سبحانه ولطفه بعباده عفوه عن كثير من ذنوبهم، وعدم مؤاخذتهم بها.
- وجوب شكر الله على ما سخره لعباده من خيرات البر والبحر.
- تأكيد قدرة الله سبحانه وأنه لا مفر من عدله وقهره.

التقويم

1- أستنتج أسباب وقوع المصائب بالعباد.

2- أذكر بعض مظاهر سعة رحمة الله تعالى وعفوه.

3- ما الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته؟

الاستثمار

قال الله سبحانه وتعالى:

1 - ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ (15) فَيَقُولُ
رَبِّي أَكْرَمَنِ (16) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ (17) فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ
(18) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (19) وَلَا تَحُضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (20)
وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (21) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (22)﴾ [الفجر: 15–22].

2 - ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم
مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12)﴾
[نوح: 10–12].

أتدبر الآيات وأجيب عن الآتي:

1 - أحدد مضمون الآيات.

2 - أستنتج القيم الواردة في الآيات، وأبين علاقاتها بالابتلاء وزيادة الرزق ونقصانه.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 33 – 36 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

1 - أشرح العبارات التي يرشدني إليها الأستاذ(ة).

2 - ما المقصود بالكبائر الواردة في الآيات؟

الدرس 10 ﴿سورة الشورى﴾ الآيات: 33-36

أهداف الدرس

1 - أن أتعرف أهم الكبائر التي يجب على المكلف اجتنابها.

2 - أن أستنتج الأعمال الصالحة التي تقرب الإنسان إلى الله سبحانه.

3 - أن أستجيب لله سبحانه بطاعته وعبادته واجتناب معصيته.

تمهيد

تضمنت الآيات الثناء على المؤمنين بصالح أعمالهم، واتصافهم بالأخلاق العالية والقيم الإسلامية الأصيلة، استجابة لخالقهم وطاعة لأوامره.

فما الأعمال الصالحة التي استحق بها المؤمنون ثناء الله تعالى؟ ما القيم الفاضلة التي وصفهم الله بها؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (33) وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ
وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (34) وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (35) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (36)﴾

[سورة الشورى: 33-36]

الفهم

الشرح:

ٱلْفَوَٰحِشَ: كل فعل وقول قبيح.

يَغْفِرُونَ: يعفون عمن ظلمهم.

شُورَىٰ: يتداولون الرأي بينهم.

يَنتَصِرُونَ: يأخذون حقهم دون ظلم.

استخلاص مضامين الآيات:

1 - عم نهت الآيات الكريمة؟

2 - فيم رغبت الآيات الكريمة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: اتصاف أهل الإيمان باجتناب كبائر الذنوب

حث الله سبحانه عباده على عدم إيثار متاع الدنيا على نعيم الآخرة فقال عز وجل: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: «مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به، فإنما هو متاع الحياة الدنيا، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي: وثواب الله خير من الدنيا، وهو باق سرمدي، فلا تقدموا الفاني على الباقي؛ ولهذا قال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات» [تفسير ابن كثير: 7/210].

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ «اختلف الناس في الكبائر ما هي؟ فقال ابن عباس: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب. وقال ابن مسعود: الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول سورة النساء إلى قوله سبحانه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31]، وقال بعض العلماء: كل ما عصي الله به، فهو كبيرة، وعدّها بعضهم سبع عشرة، وفي البخاري عن النبي ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَات، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ» [صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات]، فلا شك أنّ هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء، منها عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل الماء والإلحاد في البيت الحرام، والنميمة، وترك التحرّز من البول، والغلول، واستطالة المرء في عرض أخيه، والجور في الحكم» [التسهيل: 1/189(بتصرف)]. وقيل: كبائر الإثم: هو الشرك، والفواحش: هي الزنا، واللفظ أعم من ذلك ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ أي: أن من أخلاقهم العفو والغفران لمن أساء إليهم في حالة غضبهم.

ثانيا: اتصاف أهل الإيمان بالاستجابة للّه سبحانه وعبادته

أثنى الله سبحانه على عباده الذين استجابوا لأمره وأطاعوه، فقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: «اتبعوا رسله وأطاعوا أمره، واجتنبوا زجره، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وهي أعظم العبادات لله عز وجل، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، كما

قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: 159] ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب» [تفسير ابن كثير: 7/211]. وقد نزلت هذه الآية في الأنصار؛ لأنهم استجابوا لما دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام. قال ابن جزي: ويظهر لي أن هذه الآية إشارة إلى ذكر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: ينتصرون «ممن ظلمهم، ويقتصرون في الانتصار على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتدون» [تفسير النسفي: 3/258].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- بيان أن ما عند الله في الآخرة خير وأبقى.
- النهي عن اقتراف المعاصي وكبائر الذنوب.
- أهمية الشورى بين المسلمين في تدبير شؤونهم.
- الحث على التشبع بالقيم الإسلامية السمحة المتضمَّنة في الآيات.

التقويم

1- ما المراد بالكبائر التي أشارت إليها الآيات؟

2- ما هي القيم الإسلامية التي تضمنتها الآيات؟

3- كيف أحقق الاستجابة لله تعالى وطاعته في ضوء ما ترشد إليه الآيات؟

الاستثمار

ذكر الفخر الرازي رحمه الله في تفسير قوله سبحانه: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ «أَنَّ مَطَالِبَ الدُّنْيَا خَسِيسَةٌ مُنْقَرِضَةٌ، وَنَبَّهَ عَلَى خَسَاسَتِهَا بِتَسْمِيَتِهَا بِالْمَتَاعِ، وَنَبَّهَ عَلَى انْقِرَاضِهَا بِأَنْ جَعَلَهَا مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَإِنَّهَا خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَصَرِيحُ الْعَقْلِ يَقْتَضِي تَرْجِيحَ الْخَيْرِ الْبَاقِي عَلَى الْخَسِيسِ الْفَانِي، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ لِمَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بِصِفَاتٍ:

الصِّفَةُ الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونُوا مُجْتَنِبِينَ لِكَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ.

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: الِاسْتِجَابَةُ للهِ سُبْحَانَهُ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ، وَالتَّشَاوُرُ وَعَدَمُ الِانْفِرَادِ بِالرَّأْيِ.

الصِّفَةُ الْخَامِسَةُ: عَدَمُ الِاعْتِدَاءِ عِنْدَ السَّعْيِ إِلَى اسْتِرْجَاعِ الْحُقُوقِ الْمَسْلُوبَةِ».

[مفاتيح الغيب للرازي: 27/603-604 (بتصرف)]

أتأمل النص والآيات موضوع الدرس، ثم أملأ الجدول الآتي بما يناسب بعد نقله إلى دفتري:

الصفة	القيم	الآيات

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 37 – 40 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات التي يرشدني إليها الأستاذ(ة).

2 – أبرز قيم المحبة والتسامح والسلام في المجتمع في الآيات، وأقترح سبلا لنشرها.



سورة الشورى ﴿الآيات: 37-40﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أفضل السبل لمواجهة المعتدين.

2- أن أستنتج القيم الإسلامية التي تضمنتها الآيات.

3- أن أتمثل خلقي العفو والتسامح في تعاملي مع أفراد مجتمعي.

تمهيد

بعد أن بينت الآيات السابقة جواز دفع الإنسان للأذى إذا لحق به؛ جاءت هذه الآيات مرشدة إلى ضوابط ذلك؛ داعية إلى ما هو أفضل من الانتصار للنفس، منبهة إلى ما له من آثار حميدة في العاجل والآجل.

فما هي إرشادات الآيات في تعامل المسلم مع من ظلمه؟ وما أثر ذلك في نشر المحبة والإخاء في المجتمع؟

الآيات

قال الله عز وجل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ
عَلَى اَ۬للَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ اُ۬لظَّٰلِمِينَ (37) وَلَمَنِ اِنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (38)
إِنَّمَا اَ۬لسَّبِيلُ عَلَى اَ۬لذِينَ يَظْلِمُونَ اَ۬لنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي اِ۬لْأَرْضِ بِغَيْرِ اِ۬لْحَقِّۖ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٞ (39) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ اِ۬لْأُمُورِ (40)﴾

[سورة الشورى: 37-40]

الفهم

الشرح:

﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: من عتاب ولوم.

﴿يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾: يعتدون عليهم.

﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: لمن الأمور المطلوبة شرعا.

استخلاص مضامين الآيات:

1 –ما هي مراتب الرد على السيئة في الآيات؟

2 – ما هو المحمود منها شرعا، وما هو المذموم؟

3 – ما هي الخصلة المنهي عنها في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: إباحة الدفاع عن النفس وفضيلة العفو والتسامح

بعد أن أباح الله سبحانه في الآيات السابقة الانتصار للنفس، بين في هذه الآيات حد الانتصار، فقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثْلُهَا﴾ سمى العقوبة باسم الذنب، وجعلها مثلها تحرزا من الزيادة عليها، «فالأولى سيئة حقيقة، والثانية لا، وإنما سميت سيئة؛ لأنها مجازاة السوء، أو لأنها تسوء من تنزل به، ولأنه لو لم تكن الأولى لكانت الثانية سيئة لأنها إضرار، وإنما صارت حسنة لغيرها، أو تسمية الثانية سيئة، إشارة إلى أن العفو مندوب إليه، والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ﴾ عِدَةٌ مبهمة، لا يقاس أمرها في العظم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يبدؤون بالظلم، أو الذين يجاوزون حد الانتصار» [تفسير النسفي: 3/258–259].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ قال ابن كثير: «وقال بعضهم: لما كانت الأقسام ثلاثة: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فذكر المقتصد، وهو الذي يقتص بقدر حقه لقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، ثم ذكر السابق بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثم ذكر الظالم، بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فأمر بالعدل، وندب إلى الفضل، ونهى عن الظلم، ثم قال: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ أي: ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم» [تفسير ابن كثير: 212/7].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ يدل على أن العفو عن الظلمة أفضل من الانتصار، لأنه ضمّن الأجر في العفو، وذكر الانتصار بلفظ الإباحة في قوله: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ وقيل: إن الانتصار أفضل، والأول أصح. فإن قيل: كيف ذكر الانتصار في صفات المدح في قوله: ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ والمباح لا مدح فيه ولا ذم، فالجواب من وجهين:

أحدها: أن المباح قد يمدح؛ لأنه قيام بحق لا بباطل.

والثاني: أن مدح الانتصار لكونه كان بعد الظلم، تحرزا ممن بدأ بالظلم، فكأن المدح إنما هو بترك الابتداء بالظلم.

ثانيا: النهي عن ظلم العباد

ثم نهى الله سبحانه عن ظلم العباد، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: إنما الإثم والحرج على الذين يبتدئون الناس بالظلم، ويتكبرون في الأرض ويعتدون بغير حق، هؤلاء هم الذين يستحقون العذاب الأليم يوم القيامة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ أي: صبر على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ وَلَمْ ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الصبر والغفران منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور التي نُدِبَ إليها، أو مما ينبغي أن يوجبه العاقل على نفسه، ولا يترخص في تركه... وقال أبو سعيد القرشي: الصبر على المكاره من علامات الأنبياء، فمن صبر على مكروه يصيبه ولم يجزع؛ أورثه الله تعالى حال الرضا، وهو أجل الأحوال، ومن جزع من المصيبات وشكا؛ وكله الله تعالى إلى نفسه، ثم لم تنفعه شكواه» [تفسير النسفي: 3/259(بتصرف)].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- مشروعية الدفاع عن النفس إذا توفرت شروطه بغير تعد ولا ظلم.
- بيان فضيلة العفو والتسامح بين العباد.
- النهي عن ظلم الناس، والوعيد الشديد لأهل الظلم والبغي.
- الحث على الاتصاف بخلقي الصبر والغفران عند التعرض لظلم العباد.

التقويم

1 – هل معاملة الظالم بالمثل أفضل؟ أم مقابلة ظلمه بالعفو والتسامح؟ وما تعليل ذلك؟

2 – لماذا نهى الله سبحانه عن ظلم العباد؟

3 – كيف أتشبع بالقيم العالية التي تضمنتها الآيات؟

الاستثمار

قال ابن عجيبة رحمه الله في تفسيره الآيات موضوع الدرس: «وحاصل ما اشتملت عليه الآيات في رد الغضب أربع مقامات:

الأول: قوم من شأنهم الغفران مطلقاً، قدروا أو عجزوا، لا يتحركون في الانتصار قط، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾.

والثاني: قوم قادرون على إنفاذ الغضب، فتحركوا في الانتصار، ثم عفوا بعد الاقتدار، وهذا قوله: ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾، ثم قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

والثالث: قوم قدروا وانتصروا، وأخذوا حقهم، لكن وقفوا عند ما حدّ لهم، وهو قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

والرابع: قوم ظُلِموا فعفوا، وزادوا الإحسان إلى مَن أساء إليهم، والدعاء له بالمغفرة، حتى يصير مرحوماً بهم، وهي رتبة الصدّيقية، أن ينتفع بهم أعداؤهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، ولذلك جعل الله هذا القسم من عزم الأمور» [تفسير ابن عجيبة: 226/5].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أستخرج من النص مراتب الناس في مقابلة الإساءة.

2 – أبين أفضل هذه المراتب.

3 – أستشهد بأحاديث تتضمن وسائل مساعدة على رد الغضب، مستحضرا ما درسته في مادة الحديث.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 41 – 43 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي:

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ﴿وَلِيٍّ﴾ - ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ - ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

2 – أستنتج سبب طلب الظالمين يوم القيامة الرجوع إلى الدنيا.

الدرس 12 سورة الشورى ﴿الآيات: 41-43﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أحوال الظالمين يوم القيامة.

2- أن أدرك عاقبة الظالمين يوم القيامة.

3- أن أمتثل شرع الله سبحانه كي أكون من الفائزين.

تمهيد

بعد بيان الله سبحانه أحوال السعداء في الآيات السابقة؛ بين في هذه الآيات من يقابلهم من الظالمين الضالين، وأحوالهم عند لقاء ربهم ورؤية عذابه.

فما هي أحوال هؤلاء الظالمين يوم القيامة؟ وما عاقبتهم؟ وكيف أتجنب الأعمال المؤدية إلى ذلك؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (41) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ
مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (42) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ
يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (43)﴾

[سورة الشورى: 41-43]

الفهم

الشرح:

وَلِيّٖ: من يتولى هدايته.

هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ: هل من وسيلة للرجوع إلى الحياة الدنيا.

عَذَابٖ مُّقِيمٖ: عذاب دائم غير منقطع.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما هي أحوال الظالمين التي بينتها الآيات؟

2- من هم الخاسرون حقيقة يوم القيامة؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: أحوال الضالين يوم القيامة

بين الله سبحانه حال الضالين يوم القيامة، فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ أي: «فماله من أحد يلي هدايته من بعد إضلال الله إياه ويمنعه من عذابه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ حين يرون العذاب، واختير لفظ الماضي للتحقيق ﴿يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ يسألون ربهم الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به» [تفسير النسفي: 3/259].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ 28 بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ 29﴾ [الأَنْعَامِ: 28-29].

وقوله سبحانه: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: يعرضون على النار خائفين من الذل والكآبة، و﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يتعلق بـ﴿خَٰشِعِينَ﴾ وقوله: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه عبارة عن الذل، لأن نظر الذليل بمهابة واستكانة.

والثاني: أنهم يحشرون عميا فلا ينظرون بأبصارهم، وإنما ينظرون بقلوبهم، واستبعد هذا ابن عطية والزمخشري. والطرف يحتمل أن يريد به العين أو يكون مصدرا.

ثانيا: بيان الخاسرين حقيقة يوم القيامة

بعد وصف الآيات أحوال الضالين يوم القيامة الذين ظلموا أنفسهم، بينت هذه الآيات الخاسرين حقيقة يوم القيامة، فقال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ يتعلق ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ بقال أو بخسروا، وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الذين آمنوا أو مستأنفا من كلام الله تعالى. والمعنى: «يقول الذين آمنوا يوم القيامة: إن الخسار الأكبر الذي ذهب بهم إلى النار، فعدموا لذتهم في دار الأبد، وخسروا أنفسهم، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم، ألا إن الظالمين في عذاب دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم منه ولا محيد لهم عنه» [تفسير ابن كثير: 215/7 (بتصرف)].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: «ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه؛ لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه» [تفسير الطبري: 555/21].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- الظلم ظلمات في الدنيا، وندم وخسران في الآخرة.
- من نعيم المؤمن في الجنة جمعه بأهله وأحبابه فيها.
- أعظم الخسران خسران الكافرين لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة بالخلود في النار والتفريق بينهم وبين أحبابهم.

التقويم

1- أصف أحوال الضالين يوم القيامة.

2- ما العقوبة التي تنزل بالضالين يوم القيامة؟

3- كيف أتجنب عاقبة هؤلاء؟ وما هي الأعمال التي يجب علي القيام بها؟

الاستثمار

قال ابن عجيبة رحمه الله: «من تنكبتْه العناية السابقة، وأدركته الغواية اللاحقة، لم ينفع فيه وعظ ولا تذكير، وليس له من عذاب الله وليّ ولا نصير، فإذا تحققت الحقائق، وطلب الرجوع، لم يجد له سبيلاً، وبَقِيَ في الهوان خاشعاً ذليلاً، فيُعيِّرهم مَن سبقتْ لهم العناية، من أهل الجد والتشمير، ويقولون: هؤلاء الذين خسروا أنفسهم، حيث لم يُتعبوها في مرضاة الله، وأهليهم، حيث لم يذكِّروهم الله»

[تفسير ابن عجيبة: 229/5].

- أتأمل النص و أبين أسباب خسران الضالين لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 44 – 47 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 – أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ – ﴿مَّلْجَإٍ﴾ – ﴿نَّكِيرٍ﴾ – ﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾.

2 – أبحث عن الحكمة من رزق الله بعض عباده الأولاد، وحرمان آخرين.



سورة الشورى ﴿الآيات: 44-47﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف فضل الاستجابة لله سبحانه.

2 – أن أستنتج تجليات قدرة الله عز وجل ومشيئته في خلقه.

3 – أن أحمد الله سبحانه في كل أحوالي.

تمهيـــد

بعد بيان الله سبحانه في الآيات السابقة أحوال الضالين عن طريقه المستقيم، وعاقبتهم يوم القيامة؛ دعاهم في هذه الآيات إلى الاستجابة لأمره وطاعته، موضحا حدود مهمة رسوله ﷺ، ومنوها بشمول قدرته ونفوذ حكمته في قسمة الذرية.

فكيف تكون الاستجابة لله تعالى؟ وما هي تجليات قدرته وحكمته في قسمة الأولاد؟

الآيات

قال الله جل وعلا: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (44) فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ
عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ (45) لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ
لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (46) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ
عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (47)﴾ [سورة الشورى: 44-47]

الفهم

الشرح:

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: لا أحد يرده ويرجعه بعد حكم الله به.

﴿مَّلْجَإٍ﴾: مخلص.

﴿حَفِيظًا﴾: رقيبا.

﴿يَهَبُ﴾: يرزق.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – إلى ماذا دعت هذه الآيات؟

2 – ما مظاهر قدرة الله في الخلق وقسمة النسل؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: الدعوة إلى الاستجابة للّه سبحانه

حث الله عباده في هذه الآية على الاستجابة لأمره، فقال سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: أجيبوا ربكم إلى ما دعاكم إليه، وقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ أي: «لا رجوع له ولا بد من وقوعه ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَأْتِيَ﴾ أو بقوله: ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾، أي: لا يرده الله» [التسهيل: 2/135] ﴿مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: إنكار، يعني: لا تنكرون أعمالكم.

وقوله سبحانه: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ أي: «ليس لكم مخلص من العذاب، ولا تقدرون أن تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودوّن في صحائف أعمالكم، والنكير الإنكار ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإيمان ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيبا

﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ ما عليك إلا تبليغ الرسالة وقد فعلت ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ المراد الجمع لا الواحد ﴿مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾ نعمةً وَسَعَةً وأمناً وصحة ﴿فَرِحَ بِهَاۖ﴾ بَطِرَ لأجلها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ بلاء، كالمرض والفقر ونحوهما. وتوحيدُ فَرِحَ باعتبار اللفظ، والجمع في ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ﴾ باعتبار المعنى ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بسبب معاصيهم ﴿فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ ولم يقل: فإنه كفور، ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم، كما قال ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[إبراهيم:36] والكفور: البليغ الكفران. والمعنى: أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها، قيل: أريد به كفران النعمة، وقيل: أريد به الكفر بالله تعالى» [تفسير النسفي: 3/260-261].

ثانيا: تفرد الله عز وجل بالخلق ونفاذ المشيئة والتصرف

بين الله سبحانه قدرته في خلق السموات والأرض وتصرفه في خلقه وفق مشيئته وإرادته، فقال عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (46) أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ أي: «يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، و﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا﴾ أي: يرزقه البنات فقط، ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى، ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾ أي: لا يولد له» [تفسير ابن كثير: 7/216].

وقدم الإناث اعتناء بهنّ وتأنيسا لمن وهبهن له. قال واثلة بن الأسقع: من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر؛ لأن الله بدأ بالإناث. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام، فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث، ومحمد ﷺ جمع الإناث والذكور، ويحيى كان عقيما. والظاهر أنها على العموم

في جميع الناس، إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر، وفي الآية من أدوات البيان التقسيم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ «يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء، لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه» [تفسير الطبري: 21/558].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- وجوب الاستجابة لله سبحانه وطاعته استعدادا لليوم العظيم.
- المؤمن دائم الاستجابة لله والشكر له والرضا بقضائه في السراء والضراء، والكافر يفرح بالسراء ويكفر عند الضراء.
- عدم القنوط من رحمة الله ساعة الشدة، فإن مع العسر يسرا.
- النهي عن الاعتراض على مشيئة الله وقسمته، فهو سبحانه يتصرف في ملكه وفق مشيئته وحكمته.

التقويم

1 - أستخلص من الآيات عاقبة الإعراض عن الله تعالى.

2 - أستنتج من الآيات القيم التي تضمنتها.

3 - كيف أتمثل خلق الرضا بقضاء الله وقدره في حياتي.

الاستثمار

أكتب موضوعا إنشائيا انطلاقا من قول الله سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أبرز فيه معاني أسماء الله الحسنى الواردة في الآيتين، وأبين أثر اليقين بها في تزكية نفسي والتخلق بخلق الشكر والرضى والافتقار والأدب مع الله تعالى.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 48 – 50 من سورة الشورى وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1– أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَحْياً - مِن وَرَآءِ حِجَابٍ - تَصِيرُ الْأُمُورُ.

2 – أبحث عن أنواع الوحي، وأحدد ما خص به رسول الله ﷺ منها.

الدرس 14 سورة الشورى ﴿الآيات: 48-50﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أنواع الوحي وأقسامه.

2- أن أستنتج فضائل القرآن الكريم المضمنة في الآيات.

3- أن أهتدي بالقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ للثبات على الصراط المستقيم.

تمهيـــد

بعد بيان الله سبحانه كمال قدرته وتصرفه في الآيات السابقة؛ بين في هذه الآيات طرق وحيه إلى أنبيائه ورسله، المتضمن للتوجيهات الربانية، ومنها وحيه إلى رسوله محمد ﷺ بالقرآن الكريم الذي تضمن شريعة تامة، أكملت الشرائع السابقة وختمتها، وقد تضمنت كل ما فيه صلاح العباد في الدنيا والآخرة.

فما طرق الوحي التي اشتملت عليها هذه الآيات؟ وكيف أرشد الله سبحانه بها عباده إلى طريقه المستقيم؟

الآيات

قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (48) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ
مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (49) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (50)﴾ [سورة الشورى: 48-50]

الفهم

الشرح:

وَحْياً: إعلاما خفيا.

مِن وَرَآءِ حِجَابٍ: يسمع الكلام ولا يرى المتكلم.

رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا: القرآن الكريم.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – ما أنواع الوحي التي تضمنتها الآيات؟

2 – بماذا وصفت الآيات القرآن الكريم والمنزل عليه؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: طرق الوحي

بين الله سبحانه طرق وحيه إلى أنبيائه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ وجعلها على ثلاثة أوجه:

أحدها: الوحي المذكور أولا، وهو الذي يكون بإلهام أو منام.

والثاني: أن يسمعه كلامه من وراء حجاب.

والثالث: الوحي بواسطة الملك، وهو قوله: أو ﴿يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ يعني ملكا، فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي ﷺ، وهذا خاص بالأنبياء. والثاني: خاص بموسى وبمحمد ﷺ إذ كلمه الله ليلة الإسراء. وأما الأول فيكون للأنبياء والأولياء كثيرا، وقد يكون لسائر الخلق. ومنه ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: 68] ومنه منامات الناس.

وفي طرق الوحي إلى الرسول ﷺ، روت عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا» [صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ].

وقرأ نافع ﴿يُرْسِلُ﴾ و﴿فَيُوحِي﴾ بالرفع، على تقدير: أو هو يرسل، وقرأ الباقون بالنصب عطفا على وحيا؛ لأن تقديره: أن يوحي، عطف على أَنْ المقدرة.

ثانيا: القرآن الكريم نور وهدى للناس

ثم بين الله عز وجل أنه كما أوحى إلى الأنبياء السابقين، فقد أوحى إلى محمد ﷺ القرآن الكريم نورا يهدي الناس إلى طريق الحق، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الروح هنا: القرآن، والمعنى: مثل هذا الوحي، وهو بإرسال ملك أوحينا إليك القرآن. والأمر هنا، يحتمل أن يكون واحد الأمور، أو يكون من الأمر بالشيء ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ المقصد بهذا شيئان:

أحدهما: تعداد النعمة عليه ﷺ بأن علمه الله ما لم يكن يعلم.

والثاني: احتجاج على نبوته لكونه أتى بما لم يكن يعلمه ولا تعلمه من أحد، فإن قيل: أما كونه لم يكن يدري الكتاب فلا إشكال فيه، وأما الإيمان ففيه إشكال؛ لأن الأنبياء مؤمنون بالله قبل مبعثهم؟ فالجواب: أن الإيمان يحتوي على معارف كثيرة، وإنما كمل له معرفتها بعد بعثه، وقد كان مؤمنا بالله قبل ذلك، فالإيمان هنا يعني به كمال المعرفة، وهي التي حصلت له بالنبوة ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الضمير في قوله: ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ للقرآن الكريم، والمعنى: ولكن جعلنا القرآن نورا نوفق من نشاء من عبادنا بالنظر فيه والعمل بأحكامه. ونظير هذا قوله سبحانه:

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:43].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝49 صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الصراط المستقيم هو الإسلام والطريق القويم، و﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدل من الأول ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي: «ترد جميع أمور الخلق إليه تعالى يوم القيامة، فيقضي بينهم بالعدل، وخص ذلك بيوم القيامة، لأنه لا يمكن لأحد أن يدعي فيه لنفسه شيئا» [البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان: 9/352].

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- تأكيد صدق الرسول ﷺ في دعوته، لتأييده سبحانه له بالوحي الذي بين أنواعه في هذه الآيات.
- بيان أثر القرآن الكريم على القلوب والبصائر، فهو روح تحيا القلوب بالمداومة على تلاوته، ونور تهتدي البصائر به إلى طريق الله المستقيم.
- عظم منة الله على البشرية بالوحي الذي هو نور أخرجها من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والهدى.
- وجوب التصديق بالبعث والحساب، واليقين أن العباد جميعا راجعون إلى الله سبحانه ليفصل بينهم.

التقويم

1- ما هي أنواع الوحي؟ ومن يختص من الأنبياء عليهم السلام بكل نوع؟

2- لماذا سمى الله سبحانه القرآن الكريم روحا؟

3- ما هي أسماء القرآن وصفاته الواردة في هذا الدرس؟

الاستثمار

ألخص مضامين سورة الشورى والفوائد المستنتجة منها، من خلال ملء الجدول الآتي، بعد نقله إلى دفتري:

الدرس	المضامين	الفوائد	القيم

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية الأولى من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 - أبحث عن مدلول مصطلحي (الطلاق - والعدة) في اللغة والاصطلاح الفقهي بالرجوع إلى مصادر الفقه المالكي.

2 - أبحث عن حكم الطلاق وآدابه الشرعية؟



سورة الطلاق ﴿الآية: 1﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف مشروعية الطلاق والعدة وبعض أحكامهما.

2- أن أدرك الغاية من ضبط فترة العدة بداية ونهاية.

3- أن ألتزم الإحسان والمعاشرة بالمعروف في الزواج والطلاق.

تمهيد

سورة التحريم مدنية وآياتها اثنتا عشرة، ووجه مناسبتها للسورة قبلها أن سورة التغابن حذرت من فتنة الأولاد في قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن: 14] فجاءت هذه السورة لتتحدث عن بعض نتائج هذه العداوة وهي الطلاق، فبينت مجموعة من أحكامه وآدابه وآثاره من عدة ورجعة وغيرها.

فما حكم الطلاق في الشريعة الإسلامية؟ وما هي أحكامه وآدابه الشرعية؟

الآيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ

وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ

بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (1)﴾ [سورة الطلاق: 1]

الفهم

الشرح:

لِعِدَّتِهِنَّ: في عدتهن وهو الزمان الذي يصلح للعدة، وهو الطهر.

وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ: اضبطوها واعرفوا بدايتها ونهايتها.

أَمْرًا: المراد بالأمر هنا الرجعة.

استخلاص مضامين الآية:

1- أوضح الطريقة الشرعية لإنهاء العلاقة الزوجية.

2- أبين المكان الذي تقضي فيه المطلقة فترة عدتها.

التفسير

اشتملت هذه الآية على ما يأتي:

أولا: مشروعية الطلاق وأحكامه

افتتح الله عز وجل هذه السورة بنداء النبي ﷺ، وتوجيه الخطاب له ولأمته ليبين لهم حكم الطلاق وبعض أحكامه الشرعية، ومنها إحصاء العدة ومراعاة آدابها، وتقوى الله عز وجل في ذلك، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ بصيغة الجماعة خطابا له ولهم، وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا، أي: افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته، فكأنه قال: يا أيها النبي إذا طلقت أنت وأمتك.

وقيل: تقديره يا أيها النبي، قل لأمتك إذا طلقتم. وهذا ضعيف لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه.

وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بطلقتم تعظيما له، كما تقول للرجل المعظم: أنتم فعلتم، وهذا أيضا ضعيف، لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته.

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ هنا: إذا أردتم الطلاق، فالكلام فيه إضمار وهو ما يسميه الأصوليون بدلالة الاقتضاء.

وقد اختلف في أصل حكم الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟

فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع. ولكن يلزم، وأما اليمين بالطلاق فممنوع.

وقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب: «فَطَلِّقُوهُنَّ في قُبُلِ عِدَّتِهنَّ» وقرأ ابن عمر: «فَطَلِّقُوهُنَّ لِقُبُلِ عِدَّتِهِنَّ» ورويت القراءتان عن رسول الله ﷺ. وهي قراءة يراد بها التفسير.

ومعنى ذلك كله: لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع، لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة وذلك لا يكون إلا في الطهر.

واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض هل هو معلل بتطويل العدة، أو هو تعبد، والصحيح أنه معلل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع:

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا؟

ومنها هل يجوز طلاقها وهي حامل أم لا؟

ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟

فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع الثلاثة، والتعبد يقتضي منعها.

ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك، وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن

شاء أمسك، حسبما ورد في حديث ابن عمر، حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك.

واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه، ليعتد بذلك الطهر، فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه، فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: اضبطوها واعرفوا بدايتها ونهايتها، وقد أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام، في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: خافوا الله عز وجل ولا تعصوه، فيما أمركم به من أحكام الطلاق والعدة.

ثانيا: حكم سكنى المطلقة في عدتها

بعد أن بين الله عز وجل أن الطلاق يكون في الطهر، وأن المرأة تطلق مستقبلة لعدتها، وأمر بإحصاء العدة وضبطها، وتقوى الله عز وجل في كل ذلك، نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه، ونهاها هي أن تخرج باختيارها، حيث قال تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن ملكا للزوج، أو مكترىً عنده، لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة، وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خَرْجِ العدة -نفقة السكنى- له قولان في المذهب المالكي، والصحيح لزومه لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق.

وقد استثنى الحق سبحانه حالة واحدة تبيح إخراج المطلقة أو خروجها من بيتها بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ وقد اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي؟ على خمسة أقوال:

الأول: أنها الزنا، قاله الليث بن سعد والشعبي.

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها في السكنى، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب، قاله ابن عباس، ويؤيده قراءة أبي بن كعب، «إِلَّا أَنْ يُفْحِشْنَ عَلَيْكُمْ». وهي قراءة تفسيرية.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبري.

الرابع: أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى قاله ابن الفرس، وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة.

الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى. قاله قتادة.

وقد بين الله عز وجل الغاية من هذه الأحكام المطلوبة في الطلاق بقوله: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ والمراد بهذا الأمر الرجعة عند الجمهور، أي: أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به، لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم.

وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها.

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن العلاقة الزوجية ينبغي أن تسود فيها المودة والرحمة والاستقرار، فإذا ما انعدمت هذه المودة وساءت العشرة، وفشلت كل وسائل الإصلاح، جاز

الطلاق وإن كان أبغض الحلال إلى الله، لما يترتب عليه من عواقب وآثار.

- أن على الزوجين مراعاة الأحكام الشرعية والتوجيهات الربانية في وقت الطلاق وما يترتب عليه من وجوب سكنى المعتدة على زوجها.
- من أحكام الطلاق اعتداد المطلقة في بيت زوجها، ومن حكم ذلك قرب الزوجين بعضهما من بعض مدة العدة ليكون بذلك أمر الرجعة سهلا ميسورا.
- حث الناس على ملازمة العدل وتجنب الظلم في كل الأحوال، فلا يكون الطلاق ذريعة للظلم والانتقام من الزوجة والأولاد وحرمانهم من حقوقهم الشرعية.

التقويم

1- لم نودي النبي ﷺ وحده في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة في قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ....﴾؟

2- أستخرج من الآيات حكم الطلاق ووقته في الشريعة الإسلامية.

3- أين تقضي المطلقة عدتها؟ ولماذا؟

4- ما هي أهم المقاصد الشرعية من تشريع الطلاق والعدة؟

الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾:
«وَهَذه الآيَةُ حُجَّةٌ لِمَالك وَالشَّافعيِّ وَالْجُمْهُور أَنَّ الْعدَّةَ بِالْأَطْهَارِ لَا بِالْحَيْض، فَإِنَّ الْآيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنْ يَكُونَ إيقَاعُ الطَّلَاقِ عِنْدَ مَبْدَإِ الاعْتدَاد، فَلَوْ كَانَ مَبْدَأُ الاعْتدَاد هُوَ الْحَيْضُ لَكَانَتِ الْآيَةُ أَمْرًا بِإِيقَاعِ الطَّلَاقِ في الْحَيْضِ، وَلَا خِلَافَ في أَنَّ ذَلكَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِحَديثِ عُمَرَ في قَضِيَّةِ طَلَاقِ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ زَوْجَهُ وَهِيَ حَائِضٌ.

وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى الْأَخْذِ بِهِ، فَكَيْفَ يُخَالِفُ مُخَالِفٌ فِي مَعْنَى الْقَرْءِ خِلَافًا يُفْضِي إِلَى إِبْطَالِ حُكْمِ الْقَضِيَّةِ فِي ابْنِ عُمَرَ، وَقَدْ كَانَتِ الْعِدَّةُ مَشْرُوعَةً مِنْ قَبْلُ بِآيَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآيَاتِ الْأَحْزَابِ، فَلِذَلِكَ كَانَ نَوْطُ إِيقَاعِ الطَّلَاقِ بِالْحَالِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْعِدَّةُ إِحَالَةً عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ لَهُمْ». [التحرير والتنوير: 297/28].

أتأمل النص وأوضح وجه استدلال الجمهور بالآية على أن الاعتداد بالأطهار.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 2- 3 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مفهوم مصطلحي: (الشهادة - والعدالة) والغاية منهما.

2- أحدد من خلال الآيتين وقت الرجعة وحكم الإشهاد عليها.

الدرس 16

سورة الطلاق ﴿الآيتان: 2-3﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض أحكام الطلاق والرجعة.

2- أن أدرك المقاصد الشرعية لأحكام الطلاق والرجعة.

3- أن أتقي الله عز وجل وأتوكل عليه في كل شؤوني.

تمهيـــد

بعد بيان الآية السالفة حكم الطلاق وبعض آدابه الشرعية، ومنها أن يقع في طهر، وأن تعقبه عدة تقضيها الزوجة في بيت الزوجية، فلا يجوز إخراجها ولا خروجها منه إلا أن تأتي بفاحشة مبينة، بينت هاتان الآيتان ما يتعين فعله إذا ما أشرفت العدة على نهايتها.

فماذا على الزوج فعله إذا ما أشرفت عدة زوجته على نهايتها؟ وما الحكمة من مشروعية العدة وأحكامها؟

الآيات

قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ
اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)﴾ [سورة الطلاق: 2-3]

الفهم

الشرح:

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ : قاربن آخر العدة.

ذَوَيْ عَدْلٍ: العدالة: اجتناب الكبائر، وتوقي الصغائر والمحافظة على المروءة.

وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ: إقامة الشهادة: القيام بها وعدم الامتناع عنها.

بَالِغُ أَمْرِهِ: يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء.

قَدْراً : مقدارا معلوما ووقتا محدودا.

استخلاص مضامين الآيات:

1- متى يخير الزوج بين الإمساك أو الفراق؟

2- ما المطلوب في الآية ممن راجع زوجته؟

3- من الذي يلتزم بآداب وأحكام الطلاق والرجعة؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: أحكام نهاية مدة العدة

بعد بيان حكم الطلاق والعدة ووجوب إحصائها وضبط وقتها؛ لما يترتب عن ذلك من آثار شرعية، بين سبحانه ما يتعين فعله في نهاية مدة العدة، فقال: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ المراد ببلوغ الأجل آخر العدة، أي: فإذا قاربت العدة على الانتهاء، والكلام فيه مجاز حيث شبه مقاربة الشيء بالوقوع فيه والتلبس به، والقرينة هي قوله: ﴿أَجَلَهُنَّ﴾ لأنه عند بلوغ الأجل حقيقة تمتنع المراجعة، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: إذا أشرفت العدة على نهايتها فأنتم أيها الأزواج مخيرون بين أمرين: إما أن

تراجعوا زوجاتكم وتعاشروهن بالمعروف، وإما أن تتركوهن على حكم الطلاق الأول فيقع الفراق عند نهاية العدة؛ لأن الطلاق الرجعي يصبح بائنا، وتؤدوا لهن حقوقهن كاملة، فالإمساك بمعروف هو: تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو: أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط وغير ذلك من الحقوق المترتبة عن الطلاق.

فإذا تم اختيار الرجعة فينبغي الإشهاد عليها وتوثيقها دفعا للريبة وقطعا للنزاع، وصونا للحقوق، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الخطاب موجه للأزواج، والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين في المذهب المالكي.

وقال ابن عباس: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة، وهذا أظهر؛ لأن غاية الإشهاد هي رفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق.

وقوله: ﴿ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: إذا ما تمت الرجعة فأشهدوا عدلين تتوفر فيهما شروط الشهادة المطلوبة شرعا في الزواج والطلاق.

ثم وجه المولى عز وجل خطابه للشهود بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بإقامة الشهادة القيام بها وعدم الامتناع عنها، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد، وهي فرض كفاية، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس، ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض، وبهذا فسره الزمخشري وهو أظهر؛ لقوله: ﴿لِلَّهِ﴾، وهو كقوله: ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: 134].

ثانيا: أثر الإيمان في الالتزام بأحكام الطلاق والرجعة

بعد أن بين القرآن الكريم ما ينبغي فعله حين قرب انتهاء أجل العدة، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وإشهاد عدلين في حالة اختيار المراجعة، بَيَّن صفة من يلتزم بهذه الأحكام التي شرعها في الطلاق والرجعة بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ

﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ الإشارة في ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إلى ما تقدم من الأحكام. أي: ذلك الذي أمرتكم به، وعرفتكم عنه من أمور الطلاق والرجعة، إنما يتعظ به وينفذه من كان يومن بالله واليوم الآخر؛ لأنه يخاف عقوبة الله ومحاسبته في الآخرة، فيأتي أوامره ويجتنب نواهيه، ويبتعد عن معاصيه.

ثم أتى بجملة معترضة بين ما سلف وما سيأتي من أحكام الطلاق والرجعة، فقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾. وقد اختلف في المراد بالآية على قولين:

قيل: إن هذه الآية في الطلاق، ومعناها: من يتق الله فيطلق طلقة واحدة، حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى ندم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا: إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك، ولا أرى لك مخرجا أي: لا رجعة لك.

وقيل: إنها على العموم أي: ومن يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضا عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمسة أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، وذلك أنه أُسِرَ ولدُه وضُيّق عليه رزقُه، فَشَكَا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى، فلم يلبث إلا يسيرا وأُطْلِق ولدُه ووُسَّع الله رزقه.

والثالث: أنه روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال: مخرجا من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة.

والرابع: روي عن النبي ﷺ أنه قال: إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا .... ﴾ فما زال يقرؤها ويعيدها. [سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب الورع والتقوى].

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم.

قال بعض العلماء: الرزق على نوعين: رزق مضمون لكل حي طول عمره، وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]، ورزق موعود للمتقين خاصة، وهو المذكور في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره. والتوكل هو الاعتماد على الله في تحصيل المنافع أو حفظها بعد حصولها، وفي دفع المضرات ورفعها بعد وقوعها، إلا أنّ الأخذ بالأسباب والسعي في طلب الرزق لا ينافي التوكل على الله، لأن الشرع الحكيم يأمرنا بالأخذ بالأسباب لقول رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا» [مسند الإمام أحمد، مسند عمر بن الخطاب]، فقد أثبت للطير غدوّا ورواحا من أجل طلب الرزق مع توكلها على الله. وعن معاوية بن قرّة قال: «إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ؟» فَقَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتُمُ الْمُتَّكِلُونَ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُتَوَكِّلِينَ؟ رَجُلٌ أَلْقَى حَبَّهُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ» [شعب الإيمان للبيهقي: 2/429].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: إن الله يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء، وهذا حض على التوكل وتأكيد له، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده، ولم يعول على سواه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ أي: مقدارا معلوما ووقتا محدودا، وهذا حكم عام يشمل الطلاق والرجعة وغيرهما.

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أن من بين غايات تشريع الرجعة بعد الطلاق إعطاء فرصة لاستدراك ما فات وإصلاح ما فسد من العلاقة الزوجية.
- أن الإسلام يدعو إلى الإحسان وحسن المعاملة بين الأزواج والقيام بالحقوق والواجبات الشرعية سواء في حالة الزواج أو في حالة الفراق.
- الشهادة أداة توثيق وضمان للحقوق، فينبغي إقامتها لله ممن طلبت منه.
- أن الذي يحمل الإنسان على الالتزام بالأحكام الشرعية في الطلاق والرجعة وغيرهما هو الإيمان بالله واليوم الآخر.
- أن تقوى الله عز وجل والتوكل عليه سبب للخروج من المضايق واستجلاب الرزق الوفير.

التقويم

1- ما الذي يتعين على الزوج فعله إذا ما أوشكت العدة على نهايتها؟

2- ما حكم الإشهاد على الرجعة؟ وما فائدته؟

3- ما الذي يدفع المسلم للالتزام بأحكام الشرع في الطلاق والرجعة؟

4- أوضح بعض فضائل تقوى الله تعالى والتوكل عليه.

الاستثمار

قال القرطبي رحمه الله: «وَفَائِدَةُ الْإِشْهَادِ أَلَّا يَقَعَ بَيْنَهُمَا التَّجَاحُدُ، وَأَلَّا يُتَّهَمَ فِي إِمْسَاكِهَا، وَلِئَلَّا يَمُوتَ أَحَدُهُمَا فَيَدَّعِي الْبَاقِي ثُبُوتَ الزَّوْجِيَّةِ لِيَرِثَ».

[تفسير القرطبي: 158/18]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أذكر أهم فوائد الإشهاد على الرجعة والطلاق.

2- ماذا يشترط في من يطلب للشهادة؟ ولماذا؟

3- ما رأيك في بعض الناس الذين يتزوجون ويطلقون دون توثيق لعقودهم؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 4-5 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أعرب قوله تعالى: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ وألخص معناه في 15 سطرا.

2- أجرد أحوال النساء في العدة وآجال كل حالة انطلاقا من الآيتين.

الدرس 17

سورة الطلاق ﴿الآيتان: 4-5﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف الآجال المحددة شرعا لعِدَد النساء.

2- أن أدرك الغاية من اختلاف آجال عِدَد النساء.

3- أن أتقي الله تعالى في مراعاة أحكام عِدد النساء.

تمهيد

أخرج الحاكم عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: «لَمَّا نَزَلَت هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي عِدَدٍ مِنْ عِدَدِ النِّسَاءِ قَالُوا: «قَدْ بَقِيَ عِدَدٌ مِنْ عِدَدِ النِّسَاءِ لَمْ يُذْكَرْنَ: الصِّغَارُ وَالْكِبَارُ اللَّائِي انْقَطَعَ عَنْهُنَّ الْحَيْضُ، وَذَوَاتُ الْأَحْمَالِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾.. الآية» [المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير، باب سورة الطلاق].

فما هي عدة الحوامل واللائي لا تحيض من النساء؟ وما الحكمة الشرعية من تحديد هذه الآجال؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَٰتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)﴾ [سورة الطلاق: 4-5]

الفهم

الشرح:

﴿يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾: المرأة التي انقطعت حيضتها لكبر سنها.

﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: من الريب بمعنى الشك.

﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾: الصغيرة التي لم تبلغ المحيض.

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: حكم الله.

﴿وَيُعْظِمْ﴾: ويضاعف.

استخلاص مضامين الآيات:

1 – أحدد عدة المطلقة التي لا تحيض.

2 – أوضح عدة المرأة الحامل في الطلاق أو وفاة.

3 – أبين فوائد تقوى الله عز وجل والالتزام بأحكامه.

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: عدة من لا تحيض من النساء المطلقات

بين الله سبحانه في مطلع السورة أن الطلاق تعقبه عِدة شرعية، لكنه لم يبين مقدار هذه العدة، وقد سبق في سورة البقرة أن بين أن عدة المطلقة التي تحيض هي ثلاثة قروء، ثم بين هنا عدة المطلقة التي لا تحيض بسبب الكبر أو الصغر فقال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 226] قالوا: يا رسول الله فما عدة

من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر.

فقوله: ﴿وَالَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾: يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها.

وقوله: ﴿وَالَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض، وهو معطوف على اللائي يئسن، أو مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: واللائي لم يحضن كذلك.

قال القرطبي: «وإنما كانت عدتها بالأشهر لعدم الأقراء فيها عادة، والأحكام إنما أجراها الله تعالى على العادات، فهي تعتد بالأشهر. فإذا رأت الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت إلى الدم لوجود الأصل، وإذا وجد الأصل لم يبق للبدل حكم، كما أن المسنة إذا اعتدت بالدم ثم ارتفع، عادت إلى الأشهر. وهذا إجماع» [تفسير القرطبي: 18/165].

وقوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك وفي معناه قولان:

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضها: هل انقطع أو لم ينقطع؟

فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح، وهي على التأويل الثاني في المرتابة، وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة، حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل.

والثاني: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل، وهذا مذهب مالك: وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة.

ثانيا: عدة النساء الحوامل في طلاق أو وفاة

بعد أن ذكر الله تعالى عدة المطلقات غير الحوامل، بين هنا عدة الحوامل لخصوصيتهن، فقال: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامة في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها.

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما: إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين، إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا.

وحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حبلى، فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك، فسألت رسول الله ﷺ فقال لها: انكحي من شئت.

وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه، ولو بلغ عليا رضي الله عنه لرجع إليه.

وقال عبد الله بن مسعود: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء الْقُصْرَى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: 232] فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

ثالثا: فوائد تقوى الله والالتزام بأحكامه

بعد بيان آجال العدة يذكِّر القرآن الكريم بفائدتين من فوائد تقوى الله تعالى في الالتزام بهذه الأحكام:

الأولى: أشار إليها بقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ أي: ومن يتق الله فيمتثل أوامره ويترك نواهيه، ييسر له أمره، ويخرجه من العسر إلى اليسر ومن الضيق إلى الفرج، قال ابن كثير: أي: «يسهل له أمره، وييسره عليه، ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا» [تفسير ابن كثير: 8/152]

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ أي: الذي أنزل من أحكام العدة وغيرها حكم الله أنزله إليكم، وبينه لكم.

و**الثانية:** أشار إليها بقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ أي: يكفر عنه ما ارتكب من السيئات، ويضاعف له الثواب في الآخرة. يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقوله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» [سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس]، وقوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ» [مسند أحمد، مسند أبي هريرة].

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- تنوع آجال العِدَد واختلافُها يدل على مرونة الشرع الإسلامي وكماله وواقعيته، ومراعاته لأحوال الناس.
- أن على النساء والرجال معا احترامَ أحكام العدة وتقوى الله في ذلك صونا للأنساب وحفاظا على أواصر العلاقات بين الناس.
- أن نلتزم بتقوى الله تعالى لما لها من فوائد عظيمة في الدنيا والآخرة.

التقويم

1- أبين عدة المطلقة التي لا تحيض وسر اختلافها عن التي تحيض.

2- أوضح عدة الحامل في حال الطلاق وفي حال الوفاة؟

3- أبين فوائد التقوى المذكورة في الآيات.

4- أعرب قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 226].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [الْبَقَرَةِ: 232].

وقال عز وجل: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 3]

أتدبر الآيات أعلاه وأجيب عن الآتي:

1- أبين كل أنواع العدد وآجالها الشرعية الواردة في الآيات.

2- أطبق مكتسباتي من القواعد الأصولية لبيان العلاقة بين الآيات.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 6 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ (ة):

1- أبحث عن مدلول العبارتين: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ - ﴿لِتُضَيِّقُوا۟﴾ ملخصا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾.

2- أوضح حكم سكنى المطلقة الحامل وغير الحامل ونفقتهما.



سورة الطلاق ﴿الآية: 6﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف حكم سكنى المطلقة في العدة ونفقتها.

2- أن أدرك بعض أحكام الرضاع في حالة الطلاق.

3- أن أتمثل أحكام السكنى والنفقة والرضاع وفق شرع الله عز وجل.

تمهيد

بعد أن بين الله تعالى وجوب العدة، وأمر بتقوى الله في ذلك، بين هنا أن من تجليات التقوى في شأن المعتدات إسكانَهن وعدمَ الإضرار بهن، والنفقةَ على الحامل، والعناية بالمرضع منهن.

فما حكم نفقة المعتدة وسكناها؟ وعلى من تقع أجرة الرضاع في حالة الطلاق؟

الآيات

قال تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ
لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ
فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ (6)﴾.

[سورة الطلاق: 6]

الفهم

الشرح:

حَيْثُ سَكَنتُم : مكانا من بعض مساكنكم.

وُجْدِكُمْ : الوجد هو الطاقة والسعة في المال.

وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ : ولا تقصدوا الإضرار بهن.

لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ: لتلجئوهن إلى الخروج من السكنى.

وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم : أن يأمر كل واحد صاحبه.

بِمَعْرُوفٍ: بخير من المسامحة والرفق والإحسان.

إِن تَعَاسَرْتُمْ : أي إن امتنعت المرأة من الرضاع.

استخلاص مضامين الآية:

1- ما هي الأحكام الخاصة بالمطلقة غير الحامل في الآيات؟

2- ما هو حق الحامل المطلقة والمتوفى عنها زوجها؟

3- ماذا يجب للمطلقة المرضع بعد الطلاق؟

التفسير

اشتملت هذه الآية على ما يأتي:

أولا: حكم سكنى المطلقة غير الحامل ونفقتها

بعد أن ذكر الله عز وجل في الآيات السابقة بعض أحكام الطلاق وآثاره، ومنها وجوب العدة، وأمر بتقوى الله في تنزيل هذه الأحكام، بين في هذه الآية بعض مستحقات المرأة المطلقة فقال: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ هذا أمر من الله تعالى بإسكان المطلقة طول العدة، وفي وجوب سكناها ونفقتها تفصيل على الشكل الآتي:

المطلقة طلاقا رجعيا: أي: غير المبتوتة، وهذه يجب لها على زوجها في فترة عدتها السكنى والنفقة باتفاق، لأنها في حكم الزوجة.

المطلقة طلاقا بائنا: وهي المبتوتة وهذه فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة، وهو مذهب مالك والشافعي.

وحجة هذا القول ما رواه مالك في الموطأ عن فاطمة بنت قيس: «أَنَّ أَبَا عَمْرِو بْنَ حَفْصٍ طَلَّقَهَا الْبَتَّةَ، وَهُوَ غَائِبٌ بِالشَّامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَكِيلُهُ بِشَعِيرٍ، فَسَخِطَتْهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لَكِ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ، فَجَاءَتْ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لها: لَيْسَ لَكِ عَلَيْهِ نَفَقَةٌ» [كتاب الطلاق، باب نفقة المطلقة]. فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة.

والثاني: يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة.

وحجة من أوجب لها السكنى والنفقة: قول عمر بن الخطاب: «لَا نَتْرُكُ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ، لَا نَدْرِي لَعَلَّهَا حَفِظَتْ، أَوْ نَسِيَتْ، لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: 1]، [صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها].

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن في بعض روايات حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أنها قالت: «طَلَّقَنِي زَوْجِي ثَلَاثًا، لَمْ يَجْعَلْ لِي سُكْنَى، وَلَا نَفَقَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ لِي سُكْنَى، وَلَا نَفَقَةً، قَالَ: صَدَقَ». [مسند أبي داود الطيالسي، أحاديث النساء، ما روت فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ]

وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ معناه: أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم، فمن للتبعيض، ويفسر ذلك قول قتادة: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الوجد: هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكنا مما

تقدرون عليه، وإعرابه عطف بيان لقوله: ﴿حَيۡثُ سَكَنتُم﴾، ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد، والضم أكثر وأشهر.

وقوله: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ معناه: لا تقصدوا الإضرار بهن، لتلجئوهن إلى الخروج من السكنى، قال الطاهر بن عاشور: «أتبع الأمر بإسكان المطلقات بنهي عن الإضرار بهن في شيء مدة العدة من ضيق محل أو تقتير في الإنفاق أو مراجعة يعقبها تطليق لتطويل العدة عليهن قصدا للكناية والتشفي كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾ في سورة البقرة. أو للإلجاء إلى افتدائها من مراجعته بخلع». [التحرير والتنوير:327/28].

ثانيا: حكم نفقة المطلقة الحامل

ما تقدم في حكم السكنى والنفقة خاص بالمطلقة غير الحامل، وأما الحامل المطلقة والمتوفى عنها زوجها فحكمها مختلف، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾ اتفق العلماء على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا، فإن كان بائنا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه.

واتفقوا في وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا.

وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها، عند مالك والجمهور، لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات، وقال قوم: لها النفقة في التركة.

ثالثا: حكم الرضاع وأجرته بعد الطلاق

من المعلوم أن الرضاع تقوم به الزوجة أثناء قيام العلاقة الزوجية، أما في حالة الطلاق، فالرضاع يصبح من جملة الواجبات على الزوج المطلق حيث يجب عليه أن يدفع أجرته للزوجة المطلقة إذا أرضعت، أو لغيرها حسب الأحوال، قال تعالى:

﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع، وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه.

وقوله تعالى: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾ خطاب للرجال والنساء، ومعناه أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان، وقيل: معنى ائتمروا تشاوروا، ومنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾. [القَصَصِ: 19]

ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ﴾ المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع، وطلبت منه كثيرا، فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له، إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه، فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن الله عز وجل أكرم المرأة وجعل سكناها واجبة على الزوج طيلة مدة العدة.
- أن المطلقة الحامل تجب لها السكنى والنفقة حتى تضع حملها مراعاة لحالتها، وحالة جنينها.
- أن الإسلام يدعو إلى المحافظة على العلاقات الإنسانية، وينهى عن كل ما يؤثر على هذه الأخوة ومنها الإضرار بالغير في كل المجالات.
- أنه يجب على الأزواج العناية بأطفالهم في حالة الطلاق كالزواج، وتوفير الظروف المناسبة لنموهم من حضانة ورضاع وغير ذلك.

التقويم

1 – أنقل الجدول الآتي، وأبين فيه الحكم الشرعي بوضع علامة (نعم) أو (لا) لاستحقاق المرأة السكنى والنفقة في المذهب المالكي مع الاستدلال:

الحالة	السكنى	النفقة	الدليل
غير الحامل المطلقة طلاقا رجعيا			
غير الحامل المطلقة طلاقا بائنا			
الحامل المطلقة طلاقا رجعيا أو بائنا			
الحامل المتوفى عنها زوجها.			

2 – على من يقع الرضاع في حالتي الزواج والطلاق؟

3 – ما هي تجليات عناية الشريعة الإسلامية بحقوق المرأة والطفل في الأحكام الشرعية الواردة في الآيات؟

الاستثمار

قال الإمام أبو بكر ابن العربي رحمه الله:

«الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي بَسْطِ ذَلِكَ وَتَحْقِيقِهِ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ السُّكْنَى أَطْلَقَهَا لِكُلِّ مُطَلَّقَةٍ، فَلَمَّا ذَكَرَ النَّفَقَةَ قَيَّدَهَا بِالْحَمْلِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُطَلَّقَةَ الْبَائِنَ لَا نَفَقَةَ لَهَا؛ وَهِيَ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ مَهَّدْنَا سُبُلَهَا قُرْآنًا وَسُنَّةً وَمَعْنًى فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ. وَهَذَا مَأْخَذُهَا مِنَ الْقُرْآنِ». [أحكام القرآن، لابن العربي: 287/4]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 – أبين الآية المطلقة والآية المقيدة المشار إليهما في النص.

2 – أوضح من القرآن مأخذ عدم استحقاق المطلقة طلاقا بائنا للنفقة، واستحقاق الحامل لها.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية 7 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 – ألخص معيار تحديد قدر النفقة في الفقه الإسلامي.

2 – أكتب بحثا موجزا أبرز فيه مرونة التشريع الإسلامي حيث لا يكلف الناس ما لا يطيقون مع الاستدلال بالنصوص الشرعية المناسبة.



سورة الطلاق ﴿الآية: 7﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف تقدير نفقة المطلقة والمرضع في العسر واليسر.

2- أن أستخرج المعيار الشرعي لتحديد مقدار النفقة عموما.

3- أن أتمثل حكم الله تعالى في الإنفاق والتوسعة فيه.

تمهيـــد

بعد أن بين الله عز وجل أحكام النفقة على المطلقات والمرضعات وبعض أحكام الرضاع، أتبع ذلك بذكر معيار تحديد النفقة على المطلقات والمرضعات خصوصا وباقي أحوال الإنفاق المفروض والمندوب، على النفس أو على الغير من زوجة وأبناء وآباء.

فكيف حدد الشرع مقادير النفقة؟ وما الحكمة الشرعية من هذا التحديد؟

الآيات

قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ
ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝7﴾

[سورة الطلاق: 7]

الفهم

الشرح:

ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ: ذو غنى على قدر غناه.

قُدِرَ عَلَيْهِ: ضيق عليه.

ءَاتِيٰهُ ٱللَّهُ: أعطاه.

مَآ ءَاتِيٰهَا: ما أعطاها من الرزق، قل أو كثر.

استخلاص مضامين الآية:

1- ما معيار تحديد مقدار النفقة؟

2- ما حد التكليف الشرعي؟

التفسير

بعد أن بين الله عز وجل في الآيات السابقة أهم أحكام نفقة المطلقة والمرضع، بين هنا مقدار هذه النفقة؛ حيث ذكر أن قدر النفقة يختلف بين حالة الوسع وحالة الضيق، وقد أشار إلى حالة الوسع بقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتِيٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتِيٰهَا﴾ أمر بأن ينفق كل واحد من الموسر والمعسر على مقدار حاله، ولا يكلف الزوج ما لا يطيق، ولا تضيع الزوجة، بل يكون الحال معتدلا.

وقوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتِيٰهُ ٱللَّهُ﴾ معناه ومن ضيق عليه رزقه بأن كان على مقدار القوت، فلينفق على قدر قوته، ولا يطالب بأكثر من ذلك؛ لأنه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتِيٰهَا﴾ أي: لا يكلف الله الإنسان إلا ما أعطاه من الرزق، ولا يكلفه بما لا قدرة له عليه، قال ابن عجيبة: «وفيه تطييب قلب المعسر، وترغيب له في بذل مجهوده، وقد أكد ذلك بالوعد، حيث قال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي: بعد ضيق في المعيشة سعةً فيها، فإنّ عادته تعالى أن يُعقب العسر باليسر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5]، وكرره مرتين، فلن يغلب عسر يسريْن»

[تفسير ابن عجيبة: 7/73].

وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية.

ومما يدل على اختلاف النفقة باختلاف الأحوال قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: 234] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 231] وما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن هندا قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، فأحتاج أن آخذ من ماله، قال: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ» [كتاب الأحكام، باب القضاء على الغائب].

قال أبو حيان: «والظاهر أن المأمور بالإنفاق الأزواج، وهذا أصل في وجوب نفقة الولد على الوالد دون الأم. وقال محمد بن المواز: إنها على الأبوين على قدر الميراث» [البحر المحيط، لأبي حيان: 203/10].

وإذا كان سياق الآية في نفقة الزوج على المطلقات والمرضعات، فإن لفظه لفظ عام، يشمل باقي الأحوال التي تجب فيها النفقة على الغير، وهي نفقة الزوج على زوجته، ونفقة الآباء على الأبناء، والأبناء على الآباء الفقراء، ونفقة من التزم بالإنفاق على غيره.

ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب.

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن التشريع الإسلامي تشريع مرن يراعي أحوال الناس المادية والمعنوية فتتغير التكاليف الشرعية تبعا لذلك.
- أن الإسلام دين واقعي لا يكلف الناس إلا بما يستطيعون، ولا يرهقهم بما لا يطيقون.

- أن على الزوج الموسر أن يوسع على نفسه وزوجه ومن تلزمه نفقته.
- أن على الرجل الذي يطلق زوجته، أن يحسن في الوفاء بحقوقها وحقوق أبنائه منها، وذلك بالتوسعة عليهم بقدر الوسع والاستطاعة.
- التفاؤل باليسر وزوال العسر ثقة بموعود الله.

التقويم

1- أبين معيار تحديد مقدار النفقة الواجبة للمطلقات والمرضعات، مع الاستدلال؟

2- ما الذي ترشد إليه الآية في تحديد مقدار النفقة في جميع وجوه الإنفاق؟

3- أستنتج أهم المقاصد الشرعية المستفادة من حكم الشرع في قدر الإنفاق.

الاستثمار

جاء في تفسير ابن جرير الطبري رحمه الله عن أبي سنان، قال: «سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ يَلْبَسُ الْغَلِيظَ مِنَ الثِّيَابِ، وَيَأْكُلُ أَخْشَنَ الطَّعَامِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: انْظُرْ مَا يَصْنَعُ إِذَا هُوَ أَخَذَهَا. فَمَا لَبِثَ أَنْ لَبِسَ أَلْيَنَ الثِّيَابِ، وَأَكَلَ أَطْيَبَ الطَّعَامِ، فَجَاءَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ تَأَوَّلَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: 7]» [تفسير الطبري: 69/23].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح معيار الإنفاق من خلال النص.

2 - أستعين بالنص وأكتب موضوعا مركزا أبين فيه وظيفة المال، وطرق كسبه، ووجوه إنفاقه في الإسلام.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 8-11 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: عَتَتْ - نُّكْراً - وَبَالَ أَمْرِهَا - ذِكْراً - رِزْقاً.

2- أبين جزاء المخالفين لأمر الله ورسله من خلال الآيات.



سورة الطلاق ﴿الآيات: 8 - 11﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف جزاء مخالفة أمر الله وتكذيب رسله.

2- أن أدرك الغاية من إنزال الكتب السماوية وإرسال الرسل للبشرية.

3- أن ألتزم بالإيمان والعمل الصالح لأنال رضى الله والفوز بجنته.

تمهيد

بعد أن بين الله عز وجل مجموعة من أحكام الطلاق والعدة، ورغب المكلفين في الامتثال لحكم الله فيها وحذرهم من تجاوزها، عاد ليتوعد من خالفوا أمره، وكذبوا رسله، وسلكوا غير ما شرعه لهم، فأنذرهم بأنه قد يحل بهم مثل ما حل بالأمم السالفة التي كذبت رسله.

فكيف عاقب الله هذه الأمم السالفة؟ وكيف نعتبر مما حل بها من العقاب؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا
حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكُرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا
خُسْرًا (9) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا
قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (10) رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُّدْخِلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (11)﴾

[سورة الطلاق: 8-11]

الفهم

الشرح:

عَتَتْ: تجبرت وعصت أمر الله.

نُّكْرًا: النكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

وَبَالَ أَمْرِهَا: جزاء ذنبها واعراضها عن أمر الله.

خُسْرًا: خساراً وهلاكا، والمراد حساب الآخرة وعذابها.

الْأَلْبَابِ: الألباب جمع لب وهو العقل.

ذِكْرًا: الذكر هنا هو القرآن.

مُبَيِّنَاتٍ: واضحات.

رِزْقًا: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم توعد الله من يخالف أمره؟

2- لمن وجه الله تعالى أمره بالتقوى؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولا: بيان جزاء المخالفين لأمر اللّه وما جاءت به رسله

بعد أن بين الله تعالى بعض أحكام الطلاق والعدة ورغب الناس في العمل بها وحذرهم من مخالفتها في الآيات السابقة، حذر المخالفين لشرع الله من أن يحل بهم ما حل ببعض الأمم الخالية التي تجبرت وعصت أمر ربها فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ قيل الكاف حرف جر دخلت على أيٍّ، وهي قراءة الجمهور، وفيها قراءات أخرى،

وقال أبو حيان: «والذي يظهر أنه اسم مبني بسيط لا تركيب فيه، يأتي للتكثير مثل كم» [البحر المحيط: 358/3].

والمراد بالقرية أهلها، من باب قاعدة المجاز بالحذف ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ أي: تكبرت وجاوزت الحد في عصيان أمر ربها وإعراضها عنه على وجه العتو والعناد ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي: فحاسبنا أهلها، وقد اختلف المفسرون في المراد بالحساب هنا:

قيل: يعني الحساب في الآخرة، وكذلك العذاب المذكور بعده.

وقيل: يعني في الدنيا، وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، أو لأن قوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع، مجاز فيما لم يقع، وعلى هذا فمعنى ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ فأخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها، وقوله: ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ العذاب هو عقابهم في الدنيا، والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

ثم قال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أَي: فتجرعت عاقبة كفرها وجزاء ذنوبها، ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي: وكان عاقبة عتوها خسارة في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بيان لوجه خسران عاقبتهم، أي: هيأ الله لهم عذابا بلغ النهاية في الشدة والألم مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا، وهذا يرجح أن ما تقدم من المحاسبة والتعذيب والذوق في قوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ المراد به الدنيا.

ثانيا: أمر الله للمومنين وأصحاب العقول السليمة بالتقوى

بعد أن بين الحق سبحانه ما حل بالأمم السابقة التي عتت عن أمر ربها ورسله من العذاب، وفي ذلك تحذير لكل الجاحدين والمعاندين، نبه هنا إلى ما ينبغي أن يكون عليه

المومنون لتكون عاقبتهم محمودة، حيث قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: خافوا عقابه ولا تخالفوا أحكامه يا أصحاب العقول السليمة، ولا تكونوا مثل من ذكر من الأمم السابقة فيحل بكم ما حل بهم من العذاب في الدنيا والخسران في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بيان لأولى الألباب، وفيه إشارة إلى أن تقوى الله يقتضيها الإيمان، فقد خاطب فيهم رجاحة العقل وكمال الإيمان، مما يعني أن تقوى الله تعالى والالتزام بشرعه يقتضيه العقل السليم والإيمان الصحيح.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا﴾ قال الطاهر بن عاشور: «في هذه الجملة معنى العلة للأمر بالتقوى؛ لأن إنزال الكتاب نفع عظيم لهم، مستحق شكرهم عليه، وتأكيد الخبر بقد للاهتمام به، وبعث النفوس على تصفح هذا الكتاب، ومتابعة إرشاد الرسول ﷺ» [التحرير والتنوير: 337/28].

والذكر هنا هو القرآن، والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب ﴿رَّسُولًا﴾ مفعول بفعل مضمر تقديره: أرسل رسولا. وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال.

وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن، والرسول على هذا بمعنى الرسالة.

وقيل: إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكرا ذا رسول، وقيل: رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر.

وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر؛ لأنه نزل به، أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد.

وقوله تعالى: ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ معناه يتلو عليكم آيات في حالة كونها بيّنات واضحات جليّات، لا خفاء فيها ولا غموض، ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي: ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وهذا كقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

[إبراهيم: 1] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: 256]، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى. [تفسير ابن كثير (بتصرف): 8/177].

ثم بين جزاء الإيمان والعمل الصالح فقال. ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقًا﴾ هذا وعد من الله عز وجل لكل من آمن به وعمل صالحاً أن يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً.

يستفاد من هذه الآيات ما يأتي:

- أن مخالفة أمر الله بالمعاصي والمنكرات سبب التعاسة في الدنيا والخسارة في الآخرة.
- أن الالتزام بأمر الله والاحتكام إلى شرعه هو سبيل السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.
- أن الله عز وجل أقام الحجة على عباده ببعثة الرسل وإنزال كتب بها من الآيات ما يخرجهم من الظلمات إلى النور إن هم التزموا بأحكامها.
- الإيمان بالله وملازمة تقواه في كل حال يقتضيهما العقل السليم واللب الراجح.

التقويم

1 – ما الجزاء الدنيوي والأخروي الذي أنزله الله بالأمم الخالية التي خالفت أمر ربها.

2 – لماذا قص الله على هذا الأمة ما حل بالأمم السابقة؟

3 – لماذا أمر الله أولي الألباب بالتقوى؟

4 – استخلص من الآيات جزاء الملتزمين بشرع الله والمعاندين الجاحدين له.

الاستثمار

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾.

«عَطْفٌ عَلَى الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى، وَالتَّنْوِيهُ بِالْمُتَّقِينَ وَالْعِنَايَةُ بِهِمْ هَذَا الْوَعْدُ عَلَى امْتِثَالِهِمْ بِالنَّعِيمِ الْخَالِدِ بِصِيغَةِ الشَّرْطِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ نَعِيمٌ مُقَيَّدٌ حُصُولُهُ لِرَاغِبِيهِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ. و﴿صَٰلِحًا﴾ نَعْتٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ يَعْمَلْ أَيْ: عَمَلًا صَالِحًا، وَهُوَ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ تُفِيدُ الْعُمُومَ كَإِفَادَتِهِ إِيَّاهُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ. فَالْمَعْنَى: وَيَعْمَلْ جَمِيعَ الصَّالِحَاتِ، أَيِ: الْمَأْمُورِ بِهَا أَمْرًا جَازِمًا بِقَرِينَةِ اسْتِقْرَاءِ أَدِلَّةِ الشَّرِيعَةِ».

[التحرير والتنوير: 338/28]

أتأمل النص وأوضح من يستحق الجزاء المذكور في الآية، وذلك بإعمال القواعد الأصولية الآتية:

- قواعد صيغ العموم.
- قواعد التخصيص.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 12 من سورة الطلاق وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ (ة):

1 – أستحضر مكتسباتي في علم التوحيد وألخص مفهوم صفتي (قدرة الله تعالى – وعلمه) وتعلق كل منهما.

2 – أبحث عن بعض دلائل قدرة الله تعالى وإحاطة علمه في الآية.



سورة الطلاق ﴿الآية: 12﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض دلائل قدرة الله عز وجل وإحاطة علمه.

2- أن أدرك أن ما يجري في هذا الكون كله بأمر الله.

3- أن أتقي الله تعالى سرا وعلانية وفي كل أحوالي.

تمهيـــد

بعد أن بين القرآن الكريم مجموعة من الأحكام الشرعية ووجه المؤمنين أهل العقول إلى تقوى الله؛ حتى لا يحل بهم ما حل بمن سبقهم من الأمم التي طغت وتجبرت، جاءت هذه الآية لتؤكد قدرة الله تعالى على ذلك وإحاطة علمه بهم وبسائر أحوالهم..

فما هي مظاهر قدرة الله وعلمه؟ وكيف يكون لهذين الصفتين أثر في سلوكي؟

الآيات

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [سورة الطلاق: 12]

الفهم

الشرح:

مِثْلَهُنَّ: في العدد أو في الخلق.

يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ: الأمر هو الوحي، أو أحكام الله وتقديره لخلقه.

استخلاص مضامين الآية:

- ما هي الصفات الإلهية التي تثبتها الآيات؟

التفسير

في ختام هذه السورة يخبرنا الحق سبحانه ببعض مظاهر عظمته، ويذكرنا ببعض صفاته الدالة على كمال قدرته وإحاطة علمه فيقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: الله وحده هو الذي خلقهن لا غيره، لما تقرر في علوم اللغة من أن تعريف الجزءين يفيد الحصر، قال الطبري: «لا ما يعبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شي» [تفسير الطبري: 23/77].

وهذا يدل على وحدانيته سبحانه وتعالى وقدرته التي تتعلق بكل المكنات إيجادا وإعداما.

ولا خلاف أن السموات سبع، بدليل نصوص القرآن والسنة، ومن ذلك: ما جاء في أخبار قصة الإسراء.

وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين؛ لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» وقوله ﷺ: «مَنْ أَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» [صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب اثم من ظلم شيئا من الأرض] وقيل: إنما هي واحدة.

فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني: يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك، والأول أرجح.

وقد وردت أقوال كثيرة عن المفسرين في المراد بالأرضين السبع، حيث أشار فخر الدين الرازي إلى أن بعضها يأباه العقل، وأنه يرى أن المراد بالأرضين السبع طبقات الأرض، أو أقاليم الأرض المختلفة التي تفصل بينها البحار والمحيطات، ثم قال: «فهذه هي الوجوه التي لا يأباها العقل، وما عداها من الوجوه المنقولة عن أهل التفسير فذلك من جملة ما يأباها العقل» [مفاتيح الغيب: 30/566].

قال الطاهر بن عاشور: «وجمهور المفسرين جعلوا المماثلة في عدد السبع وقالوا: إن الأرض سبع طبقات، فمنهم من قال: هي سبع طبقات منبسطة تفرق بينها البحار. وهذا مروي عن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ومنهم من قال هي سبع طباق بعضها فوق بعض وهو قول الجمهور. وهذا يقرب من قول علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا)، من إثبات طبقات أرضية لكنها لا تصل إلى سبع طبقات». [التحرير والتنوير: 28/340].

ثم قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي، أو أحكام الله وتقديره لخلقه. قال البيضاوي: «أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن». [تفسير البيضاوي: 5/223].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ قيل: إنه تعليل لخلق السموات والأرض، وقيل: إنه تعليل لتنزل الأمر بينهن، ويحتمل أن يكون تعليلا لهما معا، قال البيضاوي: «علة لخلق أو ليتنزل، أو مضمر يعمهما؛ فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه». [تفسير البيضاوي: 5/223].

قال الإمام الرازي رحمه الله: «لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها، وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب، إلا إذا كان عالما بها، محيطا بجزئياتها وكلياتها». [مفاتيح الغيب: 383/2].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- عظمة قدرة الله عز وجل، وأنها تتعلق بكل الممكنات إيجادا وإعداما، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.
- سعة علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما، فهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
- أن على المكلف أن يستحضر قدرة الله على محاسبته ومجازاته، وأنه مطلع على كل أقواله وأفعاله؛ حتى يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، وبذلك يحقق مقام الإحسان في العبودية.

التقويم

1- ما هي أقوال المفسرين في عدد السموات والأرض؟

2- ما معنى قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؟

3- ما الغاية من التذكير بخلق السموات والأرض؟

الاستثمار

أكتب موضوعا مركزا يتضمن أهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالطلاق والرجعة والعدة والرضاع الواردة في سورة الطلاق، والحكم المستخلصة منها، مستثمرا ما اكتسبته في المواد الأخرى.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين 1-2 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ (ة):

1 - أذكر أقوال المفسرين في سبب نزول مطلع سورة التحريم، مع بيان القول الراجح منها.

2 - أكتب موضوعا مركزا عن عصمة النبي ﷺ انطلاقا من مكتسباتي في مادة التوحيد.



سورة التحريم ﴿الآيتان: 1 - 2﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف ما حرم النبي ﷺ على نفسه.

2- أن أدرك سبب تحريمه ﷺ ما حرم على نفسه.

3- أن أتيقن أن الوحي وحده هو مصدر التحريم.

تمهيد

سورة التحريم مدنية وآياتها اثنتا عشرة، وتسمى سورة النبي، سميت بذلك لافتتاحها بالحديث عن تحريم النبي ﷺ شيئا على نفسه، وعتاب الله له على ذلك على سبيل التلطف، وتتجلى مناسبتها للسورة قبلها في أن سورة الطلاق ذكرت جملة من أحكام زوجات المؤمنين عامة، بينما ورد في هذه السورة ذكر بعض أخبار زوجات رسول الله ﷺ خاصة.

فما سبب نزول مطلع هذه السورة؟ وما العبر المستفادة من هذه القصة؟

الآيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿1﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿2﴾﴾ [سورة التحريم: 1-2]

الفهم

الشرح:

تُحَرِّمُ: تمتنع.

تَبۡتَغِي: تطلب.

مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ: رضا أزواجك.

فَرَضَ: شرع وبيَّن.

تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ: كفارة حلفكم وقسمكم.

مَوۡلَىٰكُمۡۖ: المولى هو الناصر أو السيد الأعظم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- أوضح بعض فقه التحريم.

2- ما الحكم المترتب على اليمين للتحلل منها؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: سبب نزول الآيتين مطلع السورة

ورد في سبب نزول مطلع هذه السورة أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول من دنا منها: أَكلْت مغافيرَ، والمغافير صمغ العُرْفُطَ، وهو حلو كريه الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكني شربت عسلا، فقلن له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُط، فقال رسول الله ﷺ: لا أشربه أبدا. وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد

ذلك على زينب فقالت: ألا أسقيك من ذلك؟ فقال: لا حاجة لي به، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم بعض ما أحل الله له. أخرجه البخاري وغيره.

ثانيا: بعض أحكام فقه التحريم

افتتحت سورة التحريم بنداء النبي ﷺ نداء تشريف وتنبيه بصفة النبوة للدلالة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم، حيث نبهه على تحريمه على نفسه بعض ما أحل الله، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ والمراد بالتحريم هنا أن يمتنع عن الشيء، لا أن يعتقد أنه حرام شرعا؛ لأن هذا لا يجوز لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 30]، قال أبو حيان: «ومعنى تحرم: تمنع، وليس التحريم المشروع بوحي من الله، وإنما هو امتناع لتطييب خاطر بعض من يحسن معه العشرة. [البحر المحيط: 10 / 207].

ويختلف حكم تحريم الإنسان شيئا على نفسه باختلاف ذلك الشيء:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء، فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة.

وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة:

فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم: إنما يلزم فيه كفارة يمين.

وقال مالك في المشهور عنه: ثلاث تطليقات في المدخول بها، ويُنَوَّى في غير المدخول بها، فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث.

وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين.

وروي عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية.

وقوله تعالى: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم، على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه، وامتناعه مما كان له فيه أرب.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلة مصدر حلل، والمراد بها الكفارة، أي: شرع لكم تحليل ما حلفتم عليه بالكفارة، وقد أحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: 91].

واختلف في المراد بها هنا، فعلى القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل فاختلف في ذلك:

- فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة قال: هذه الكفارة للتحريم.
- ومن قال: لا كفارة فيه قال: إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه.
- وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهرا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم. ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أي: وهو العليم بخلقه الحكيم فيما شرعه لهم

من أحكام تحقق مصالحهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم إلا وفق ما تقتضيه مصلحتهم.

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أن كل ما أحل الله فهو حلال على الإنسان، ولا ينبغي له أن يحرم نفسه مما أحل الله إرضاء لغيره.
- أن من حلف على يمين فكان حنثها خيرا من برها، فعليه أن يكفر عنها ويفعل الذي هو خير.
- أن الله عز وجل هو الذي يحل للناس ما ينفعهم، ويحرم عنهم ما يضرهم؛ لأنه عليم بأحوال الناس حكيم في تشريعه.

التقويم

1- أستعرض الرواية الواردة في سبب نزول مطلع السورة.

2- ما معنى تحريم النبي ﷺ ما أحل الله له؟

3- ما حكم من حرم على نفسه شيئا مما أحل الله؟

الاستثمار

قال ابن العربي المعافري رحمه الله: «اتّفقت الْأمة على عصمَة الْأَنْبِيَاء صلوَات الله عَلَيْهِم عَن الْكَبَائِر، وَاخْتلفُوا فِي طَرِيق ذَلِك وَفِي وقته، وَاخْتلفُوا فِي الصَّغَائِر: فَمنهمْ من جوزها، وَمِنْهُم من منعهَا، وَكَأنَ ظواهر الْكتاب من الْآيَات تدل على اقترافهم لصغائر الخطيئات، وَقد بَينا وجوب عصمتهم على الْإِطْلَاق من كل معنى وَفِي كل شَيْء وَفِي كل حَال فِي مَوْضِعه». [المحصول في أصول الفقه لابن العربي: 109].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أبين موقف العلماء من عصمة الأنبياء وترجيح ابن العربي.

2- بم تجيب عن عتاب الله لنبيه في السورة موضوع الدرس؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 3-4 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ - صَغَتْ - وَإِن تَظَاهَرَا - مَوْلَاهُ.

2- أبحث عن السر الذي أفشته حفصة رضي الله عنها.

الدرس 23

سورة التحريم ﴿الآيتان: 3 - 4﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف إعلام الله نبيه ﷺ بفشو سره ومن أفشاه.

2- أن أطلع على تأنيب النبي ﷺ لبعض أزواجه وعتابه لها.

3- أن أقوي إيماني بصدق كتاب الله وصدق نبيه محمد ﷺ.

تمهيد

سبقت الإشارة إلى أن سبب نزول الآيتين السابقتين هو ما دار بين النبي ﷺ وبعض أزواجه من حديث، ترتب عنه أنه أخبر حفصة رضي الله عنها ببعض سره واستكتمها ذلك إرضاء لها وتطييبا لخاطرها، وهو ما أفشته حفصة بين أزواجه، فأطلعه الله على ذلك، فعاتبها في هذه الآيات على إفشاء ذلك السر.

فكيف عاتب النبي ﷺ حفصة على إفشاء سره؟ وما التوجيهات والمواعظ التي قدمتها الآيات لأزواجه ﷺ؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيءُ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ
وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ
مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝3 إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ
قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَّٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝4﴾ [سورة التحريم: 3-4]

الفهم

الشرح:

﴿بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ﴾ : حفصة.

﴿نَبَّأَتْ﴾: أخبرت.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أطلعه على المنبّأ به وعلى إفشائه.

﴿صَغَتْ﴾: مالت.

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا﴾ : تتعاونا، أصله تتظاهرا فقلبت التاء ظاء وادغمت.

﴿مَوْلَىٰهُ﴾: وليه وناصره.

﴿ظَهِيرٌ﴾ : أعوان له وأنصار.

استخلاص مضامين الآيات:

1- فيم عاتب النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها؟

2- من وعظ النبي ﷺ في الآيات.

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: السر الذي أفشته حفصة رضي الله عنها وعتابها على ذلك

بعد ما حكى القرآن الكريم ما حصل للنبي ﷺ مع أزواجه، جاءت هذه الآيات تخبر بأن الله سبحانه أطلعه على إفشاء حفصة للسر الذي ائتمنها عليه بإخبارها عائشة رضي الله عنها بذلك، فقال: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِۦ حَدِيثًا﴾ اختلف في المراد بالحديث في الآية على قولين:

الأول: أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده.

و**الثاني**: أنه قوله: شربت عسلا. وقيل غير ذلك.

والمراد بقوله: ﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصة رضي الله عنها.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله ﷺ، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاقب حفصة على إفشائها لسره فطلقها، ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها. وقيل: لم يطلقها.

قال الخازن في تفسيره: «فغضب من إفشاء سره وجازاها عليه بأن طلقها، فلما بلغ عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام، وأمره بمراجعتها. وقيل: لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة، وإنما هم بطلاقها، فأتاه جبريل فقال: لا تطلقها فإنها صوامة قوامة، وإنها من نسائك في الجنة» [تفسير الخازن: 313/4].

فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ حذف المفعول وهو عائشة.

وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعه على إخبارها به.

وقوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي: عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقرأ الكسائي عَرَفَ بالتخفيف من المعرفة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي: لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره، ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته فقالت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه سكتت وسلمت.

ثانيا: وعظ وتنبيه لحفصة وعائشة رضي اللّه عنهما

بعـد عرض قصة تحريم العسل وإفشاء سر النبي ﷺ بين حفصة وعائشة رضي الله عنهما، وإخبارهما بأن الله سبحانه أطلعه على ذلك، انتقلت الآيات لوعظهما وإرشادهما إلى السلـوك السديـد فقـال تعـالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة، وتوبتهما هي مما جرى منهما في قصة تحريم العسل.

ومعنى ﴿صَغَتْ﴾ أي: مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود: «زاغت»، والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة.

ثم ذكر سبحانه أن الله عز وجل عاصم نبيه وناصره، فلا يضره أذى من أي مخلوق فقال: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوءه من إفراط الغيرة، وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره، وهو الله عز وجل.

و﴿مَوْلَىٰهُ﴾ هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على مولاه ويكون ﴿جِبْرِيلُ﴾ مبتدءاً، و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر، فيكون ﴿جِبْرِيلُ﴾ معطوفا، فيوصل مع ما قبله ويوقف على ﴿صَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويكون ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مبتدأ و﴿ظَهِيرٌ﴾ خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع، فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريف له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك

وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله يقتضي معك النصرة.

وقد اختلف في صالح في قوله تعالى: ﴿صَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة؟

فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل: علي بن أبي طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح.

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أنه يجب على من استُكتِم سِرا أن يكتمه، لأن المسلمين عند شروطهم.
- أنه يحسن التلطّف في العتاب بين الأزواج حفاظا على كيان الأسرة، اقتداء بسيرة المصطفى ﷺ.
- أن القرآن الكريم كلام الله حقا وصدقا، لأنه يتحدث عن أسرار الرسول ﷺ التي لم يكن يرغب في إفشائها.
- كرامة النبي ﷺ على ربه؛ إذ هو وليه وناصره ومعينه، وعظم قدره عنده وعند ملائكته والمؤمنين.

التقويـم

1- ما الحديث الذي أسر به النبي ﷺ لبعض أزواجه؟

2- لماذا أفشت حفصة رضي الله عنها سر رسول الله ﷺ؟

3- ما هي المواعظ التي وجهتها الآيات لحفصة وعائشة؟

4 - كيف يكون لهذه القيم النبوية أثر في حياتي؟

الاستثمار

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4] حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4]؟ قَالَ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ.... ». [صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1- أعرف بعائشة وحفصة رضي الله عنهما تعريفا موجزا.

2- أتحدث عن فضل أمهات المومنين رضي الله عنهن.

3- لماذا تحرى ابن عباس سؤال عمر بن الخطاب بالخصوص عن هذه الآية؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 5 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1 - أحدد الصفات المطلوبة في الزوجة الصالحة من خلال الآية.

2 - أنجز ترجمة موجزة لإحدى أمهات المومنين مع التركيز على بعض مناقبها وفضائلها.



سورة التحريم ﴿الآية: 5﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف تسلية الله عز وجل لنبيه ليدفع عنه الهم والغضب.

2- أن أستنتج عتاب أمهات المؤمنين الواردة في الآية.

3- أن أتحلى بقيم التواضع والاحترام في علاقاتي الأسرية والاجتماعية.

تمهيد

بعد أن بين الله عز وجل غضب الرسول ﷺ مما صدر عن بعض أزواجه، وأنهما إن تظاهرا عليه بدافع المحبة والغيرة، فقد حصل له ما حصل من الأذى بسبب سلوكهما، جاءت هذه الآية لتحذرهما من أن يبدل الله نبيه أزواجا خيرا منهن في الدين والصلاح والتقوى، وفى كل الشؤون الزوجية.

فلماذا حذر الله عز وجل نساء رسول الله ﷺ؟ وكيف يكون لهذه القصة أثر في حياتي الأسرية والاجتماعية؟

الآيات

قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [سورة التحريم:5]

الفهم

الشرح:

قَٰنِتَٰتٍ: عابدات.

تَٰٓئِبَٰتٍ: تائبات من كل الذنوب، فلا يصررن عليها.

عَٰبِدَٰتٍ: متعبّدات.

سَٰٓئِحَٰتٍ: صائمات.

ثَيِّبَٰتٍ: الثيب من تزوجت وفارقت زوجها بعد أن مسها.

وَأَبْكَارًا: البكر هي المرأة التي لم توطأ قطُّ.

استخلاص مضامين الآية:

- بم سلى الله عز وجل نبيه ﷺ بعد ما حل به من هموم؟

التفسير

بعد عتاب حفصة وعائشة رضي الله عنهما، وأمرهما بالتوبة إلى الله عز وجل مما صدر عنهما في جانب نبيه الكريم الذي وعده بالنصرة، تضمنت هذه الآية المزيد من التأديب الرباني لأمهات المؤمنين والتخويف الشديد لهن، حيث وعد رسوله ﷺ بأنه لو طلقهن لأبدله سبحانه خيرا منهن، فقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ هذه الآية، نصرة للنبي ﷺ وتسلية له، لأنها تحذر زوجاته رضي الله عنهن أنهن إن تمادين في إيذاء الرسول ﷺ فقد يستغني عنهن ويبدله الله خيرا منهن، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَيْرَةِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُنَّ: عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ... فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ»

[صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾].

وتأتي ﴿عَسَىٰ﴾ للرجاء، لكنها في كلام الله تعالى تأتي للتحقيق، لكن جوابها هنا معلق على شرط لم يقع وهو طلاقهن، وإذا لم يقع الشرط فلا يتحقق المشروط أي: عسى إن طلقكن رسول الله ﷺ أن يبدله الله أزواجا خيرا منكن، لكن الرسول ﷺ لم يطلقهن، فلم يبدله الله غيرهن، فهن زوجاته في الدنيا وفي الآخرة، قال الآلوسى: «عَسى في كلامه تعالى للوجوب، وأن الوجوب هنا إنما هو بعد تحقق الشرط» [تفسير الألوسي: 28 / 155].

ثم بين الله صفات هؤلاء الزوجات، وهي صفات كمال في الزوجة الصالحة بقوله: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾

فقد ذكر الله عز وجل ثمان صفات لهؤلاء الأزواج، وهي أنهن:

﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ﴾ الإسلام هو الانقياد، والإيمان هو التصديق، أي: منقادات طائعات لله عز وجل، مصدقات لكل ما جاء به رسول الله ﷺ، وقد بين ابن جزي رحمه الله العلاقة بين الإيمان والإسلام فقال: «ثم إنهما يطلقان بثلاثة أوجه:

- باختلاف المعنى كقوله: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14].

- وبالاتفاق لاجتماعهما كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: 35-36].

- وبالعموم فيكون الإسلام أعم، لأنه بالقلب والجوارح، والإيمان أخص لأنه بالقلب خاصة» [التسهيل: 2/152].

﴿قَانِتَاتٍ﴾ أي: عابدات أو مطيعات. قال فخر الدين الرازي: «وقيل: قائمات بالليل للصلاة، وهذا أشبه لأنه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصائمات، فلزم أن يكون قيام الليل مع صيام النهار» [مفاتيح الغيب: 30/571].

﴿تَائِبَاتٍ﴾ أي: تائبات من كل الذنوب، فلا يصررن عليها.

﴿عَٰبِدَٰتٖ﴾ أي: كثيرات العبادة لله عز وجل، قال القاسمي: «متعبّدات لله، كأن العبادة امتزجت بقلوبهن، حتى صارت ملكة لهن» [تفسير القاسمي: 9/275].

﴿سَٰٓئِحَٰتٖ﴾: معناه الصائمات قاله ابن عباس. وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله، لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض.

﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ أي: منهن ثيات ومنهن أبكار، ودخلت الواو هنا للتقسيم. ولو سقطت لاختل المعنى، لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون: هي واو الثمانية وذلك ضعيف.

قال الخازن في تفسيره: «وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن الكون، لأنه قال إن طلقكن، وقد علم أنه لا يطلقهن، فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله أزواجا خيرا منهن تخويفا لهن». [تفسير الخازن: 4/316].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن من حقوق الرسول ﷺ على أمته التأدب معه ونصرته واحترامه.
- أن الإنسان مهما بلغت مكانته ينبغي أن يتواضع ولا يزكي نفسه، فقد يكون هناك من هو أفضل منه دينا والتزاما.

التقويم

1- أبين سبب نزول الآية.

2- ما الغاية من تذكير أمهات المومنين بأن الله قد يبدل نبيه ﷺ خيرا منهن؟

3- أوضح دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾.

4- ما هي القيم السلوكية التي تستفاد من الآية؟

الاستثمار

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»

[صحيح مسلم كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:«إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»

[سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه]

- أكتب موضوعا إنشائيا أبرز فيه الصفات المطلوبة شرعا في الزوجة والزوج، وأثرها في صلاح الأسرة واستقرارها، مستعينا بما تضمنه الحديثان أعلاه.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 6-7 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبين مضمون خطاب الله للمومنين والكافرين في الآيتين.

2- كيف يقي الانسان نفسه وأهله من النار؟



سورة التحريم ﴿الآيتان: 6 – 7﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف بعض حقوق النفس والأهل.

2- أن أدرك أنه لا عذر للكفار في كفرهم يوم القيامة.

3- أن ألتزم بطاعة الله واستكثر من العمل الصالح في حياتي.

تمهيد

بعد أن أمر الله عز وجل نساء النبي ﷺ بالتوبة عما صدر عنهن في حق نبيه الكريم، وحذرهن من مخالفته، وهي موعظة خاصة، أتبع الحق سبحانه ذلك بموعظة عامة للمؤمنين حيث وجه إليهم مجموعة من النصائح، أولها وقاية أنفسهم وأهليهم من النار.

فكيف يقي الإنسان نفسه من عذاب جهنم؟ وما مسؤوليته عن أهله؟

الآيات

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا
ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ 6 يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ 7﴾ [سورة التحريم: 6-7].

الفهم

الشرح:

قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ : اجعلوا لها وقاية من النار بترك المعاصي.

وَقُودُهَا: حطبها.

مَلَٰٓئِكَةٌ: زبانية النار.

غِلَاظٌ: غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا.

شِدَادٌ: أقوياء الأبدان.

لَا تَعۡتَذِرُواْ : العذر: الحجة التي تبرئ صاحبها من تبعة عمل ما.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم أمر الله المومنين في الآيات؟

2- لماذا ينهى الكافرون عن الاعتذار يوم القيامة؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله من النار

بعد أن حذر الله نساء النبي ﷺ من استبدالهنّ بغيرهنّ من المؤمنات الصالحات أمر المؤمنين عامة بوقاية أنفسهم وأهليهم من نار وقودها الناس والحجارة يوم القيامة، حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي: يا من آمنتم بالله ورسوله أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته، لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته سبحانه من النار، فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة؛ لأن ذكر النار أبلغ في التفخيم والتهويل والتخويف.

قال عمر: يا رسول الله، نقي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟ قال: «تنهونهن عما نهاكم الله تعالى عنه، وتأمرونهن بما أمركم الله به، فتكون ذلك وقاية بينهن وبين النار» [البحر المحيط، لأبي حيان: 212/10].

وقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ الوقود هو الحطب ونحوه مما توقد وتتأجج به النار، وأما الحجارة فقال ابن مسعود: هي حجارة الكبريت لسرعة اتقادها وشدة حرها وقبح رائحتها، وقيل الحجارة المعبودة، وقيل الحجارة على الإطلاق.

وقوله: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار، وغلظهم وشدتهم: يحتمل أن يريد في أجرامهم، أو في قساوة قلوبهم.

وقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد لقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾، وقيل: إن معنى ﴿لَّا يَعْصُونَ﴾ امتثال الأمر، ومعنى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

ثانيا: لا عذر للكفار يوم القيامة

بعد أن أمر الله تعالى المومنين بأن يقوا أنفسهم وأهليهم من النار، بين أن هذه النار إذا ما استحقها الكفار بما اقترفوا من السيئات لا ينفعهم اعتذار فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ أي: يقال للكفرة يوم القيامة: لا تعتذروا عن كفركم ومعاصيكم، والخطاب يحتمل أن يكون من الله للكفار أو من الملائكة ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: لأنكم إنما تجزون في ذلك اليوم بما قدمتكم من أعمال في الدنيا، فلا يقبل منكم عذر، قال فخر الدين الرازي: «لما ذكر شدة العذاب بالنار، واشتداد الملائكة في انتقام الأعداء، فقال: لا تعتذروا اليوم، أي: يقال لهم: لا تعتذروا اليوم؛ إذ الاعتذار هو التوبة، والتوبة غير مقبولة بعد الدخول في النار، فلا ينفعكم الاعتذار» [مفاتيح الغيب: 572/30].

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أن للنفس على صاحبها حقوقا، وأهم هذه الحقوق وقايتها من عذاب الله بملازمة طاعة الله والابتعاد عن معاصيه.
- أن الإنسان مسؤول عن زوجه وأولاده بتوجيههم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا ونجاتهم يوم القيامة، وتعليمهم وتربيتهم على التزام تعاليم الإسلام وأداء الشعائر والتخلق بالقيم الإسلامية.
- أن يوم القيامة هو وقت جزاء وليس وقت عمل، ولذلك على الإنسان أن يبادر بالعمل في الدنيا لينتفع به في الآخرة.
- عدل الله تعالى في الجزاء، فلا يجازي كل نفس في الآخرة إلا بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

التقويم

1- كيف يقي الإنسان نفسه وأهله من النار؟

2- لماذا لا يقبل من الكافرين عذر يوم القيامة؟

3- ما هي أهمية العمل في الجزاء الأخروي؟

الاستثمار

روى الإمام مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه أَوْ يُنَصِّرَانه كَمَا تُنَاتَجُ الْإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ صَغِيرٌ؟ قَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ».

[الموطأ، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز]

أتأمل الحديث وأجيب عن الآتي:

1- أوضح مسؤولية الأبوين عن تربية أبنائهم.

2- ما وجه التشبيه الوارد في الحديث ؟

3- أبحث عن بعض ملامح المنهج النبوي في تربية الأبناء.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآية: 8 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: تَوْبَةً نَّصُوحاً - لَا يُخْزِي - يَسْعَىٰ.

2- أحدد مفهوم التوبة وشروطها وآدابها ومراتبها والبواعث عليها.



سورة التحريم ﴿الآية: 8﴾

أهداف الدرس

1- أن أتعرف أهمية التوبة إلى الله وشروطها الشرعية.

2- أن أدرك أن التوبة تكفر الذنوب وتنفع صاحبها في الآخرة.

3- أن أتوب إلى الله تعالى من كل ما صدر عني من الذنوب.

تمهيد

بعد أن أمر الله المومنين بوقاية أنفسهم وأهليهم من نار جهنم، وحذر الكافرين بأنه لا عذر لهم يوم القيامة، أمر المؤمنين أن يقلعوا عن المعاصي، وأن يتوبوا إلى الله توبة نصوحا، على ما صدر منهم من هفوات، ويعزموا على عدم الرجوع إليها ليكفر الله عنهم سيئاتهم ويدخلهم جنات النعيم.

فما هي أهمية التوبة إلى الله؟ وكيف أتوب إلى الله توبة نصوحا؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي
اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ
لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)﴾ [سورة التحريم: 8]

الفهم

الشرح:

تَوْبَةً نَّصُوحاً : أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدا، ولا تريد أن تعود.

أَنْ يُكَفِّرَ : يستر.

لَا يُخْزِي : الخزي الهوان والذل.

يَسْعَىٰ : يمضي.

استخلاص مضامين الآية:

1- بم أمر الله عباده المومنين في الآيات؟

2- ما هي مقاصد التوبة وفوائدها على العبد في الآخرة؟

التفسير

اشتملت هذه الآية على ما يأتي:

أولا: أمر الله للمومنين بالتوبة النصوح

بعد أن أمر الله المومنين بأن يجنبوا أنفسهم وأهليهم ما يزج بهم في نار جهنم، أمرهم بالتوبة مما يكون قد صدر عنهم من الذنوب؛ لأن التوبة النصوح وقاية من النار فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ هذا نداء ثان للمومنين في هذه السورة، يناديهم الله تعالى ليأمرهم فيه بالتوبة النصوح، قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدا، ولا تريد أن تعود. وقيل: معناه توبة خالصة، فهو من قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، قال الزمخشري:

وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم.

والتوبة واجبة على كل مؤمن مكلف، بدليل الكتاب كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾: [النور:32] والسنة كقوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ»، [صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه]، وقد أجمعت الأمة على وجوبها.

وفرائضها ثلاثة: الندم على الذنب من حيث عصي به ذو الجلال، لا من حيث أضر ببدن أو مال، والإقلاع عن الذنب في أول أوقات الإمكان من غير تأخير ولا توان، والعزم أن لا يعود إليه أبدا، ومهما قضي عليه بالعود أحدث عزما مجددا.

وآدابها ثلاثة: الاعتراف بالذنب مقرونا بالانكسار، والإكثار من التضرع والاستغفار، والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات.

ومراتبها سبع: فتوبة الكفار من الكفر، وتوبة المخلطين من الذنوب الكبائر، وتوبة العدول من الصغائر، وتوبة العابدين من الفترات، وتوبة السالكين من علل القلوب والآفات، وتوبة أهل الورع من الشبهات، وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات.

والبواعث على التوبة سبعة: خوف العقاب، ورجاء الثواب، والخجل من الحساب، ومحبة الحبيب، ومراقبة الرقيب القريب، وتعظيم المقام، وشكر الإنعام.

ثانيا: مقاصد التوبة وفائدتها على العبد في الآخرة

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ معناه لعل الله يرحمكم بهذه التوبة النصوح فيمحو عنكم ذنوبكم ويدخلكم في الآخرة جنات تحت أشجارها وتحت مبانيها، أنهار الجنة ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى

﴿ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله، أو ما بعده أو محذوفا تقديره: اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على النبي، أو مبتدءاً وخبره بعده، وقوله: ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان، والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ، فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم. وقيل: يكون أصله في أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم، وروي أن نور كل أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالإطفاء مرة.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ حال من ضمير نورهم، وظاهره أن تكون حالا مقارنة، أي: يقولون ذلك في ذلك اليوم، ودعاؤهم طلب للزيادة من ذلك النور، فيكون ضمير يقولون عائداً إلى جميع الذين آمنوا مع النبيء ﷺ يومئذ، أو يقول ذلك من كان نوره أقل من نور غيره ممن هو أفضل منه يومئذ فيكون ضمير يقولون على إرادة التوزيع على طوائف الذين آمنوا في ذلك اليوم. وإتمام النور إدامته أو الزيادة منه على الوجهين المذكورين آنفا، وكذلك الدعاء بطلب المغفرة لهم هو لطلب دوام المغفرة، وذلك كله أدب مع الله وتواضع له، مثل ما قيل في استغفار النبيء ﷺ في اليوم سبعين مرة.

ويظهر بذلك وجه التذييل بقولهم: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ المشعر بتعليل الدعاء كناية عن رجاء إجابته لهم. [التحرير والتنوير: 371/28].

يستفاد من هذه الآية ما يأتي:

- أن الشأن في الإنسان أن يخطئ ويرتكب المعاصي، لذلك على الإنسان أن يداوم على التوبة لتصحيح أخطائه والعودة إلى الله عز وجل.
- أن المومن لا يقنط من رحمة الله مهما عظمت ذنوبه، وعليه أن يتوب إلى الله فيغفر الله له ويمحو عنه ذنوبه.
- أن التوبة باب من أبواب رضا الله ومدخل من مداخل الجنة والنجاة في الآخرة.
- أن المؤمن في ظلمات يوم القيامة يسير في نور إيمانه وعمله، فمن شاء أن يسير في ذلك اليوم في النور التام فليكثر من العمل الصالح ليزداد نورا.

التقويم

1- أبين مفهوم التوبة النصوح وحكمها الشرعي مع الاستدلال.

2- أعدد في جدول فرائض التوبة، وآدابها، ومراتبها، والبواعث عليها.

3- ما معنى قوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾؟

4- أبين قيمة التوبة في العلاقات الاجتماعية والإنسانية.

الاستثمار

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، قال: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا،

قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ - أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ - آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»

[صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: 15]]

أتأمل الحديث أوضح تجليات رحمة الله بعباده من خلال مضمونه.

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 9-10 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث في أنواع الجهاد وشروطه وضوابطه الشرعية.

2- أراجع بعض كتب التفسير، وألخص قصتي امرأة نوح ولوط عليهما السلام، والعبر المستفادة منهما.



سورة التحريم ﴿الآيتان: 9 – 10﴾

أهداف الدرس

1– أن أتعرف قصتي امرأة نوح وامرأة لوط وما فيهما من عبر.

2– أن أدرك أن نجاة الإنسان رهينة بأعماله الصالحة في الدنيا.

3– أن أعتبر بقصتي المرأتين لأواظب على الإيمان والعمل الصالح.

تمهيد

بعد أن أمر سبحانه المؤمنين بالتوبة النصوح والرجوع إلى الله عز وجل، أمر رسوله بمجاهدة الكفار والمنافقين الذين يكيدون للإسلام ويتآمرون على المسلمين، والغلظة عليهم حتى يرجعوا إلى رشدهم، ضاربا المثل لهم بكفر امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام وخيانتهما.

فما هو حال امرأة نوح وامرأة لوط؟ وكيف أعتبر بقصتهما في حياتي؟

الآيات

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿9﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ
لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿10﴾﴾ [سورة التحريم: 9–10].

الفهم

الشرح:

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: وعاملهم بالغلظة والقوة.

﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾: مقرهم ومستقرهم في الآخرة.

﴿الْمَصِيرُ﴾: المرجع.

﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾: في عصمتهما.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين لا في الفراش.

استخلاص مضامين الآيات:

1- بم أمر الله نبيه في الآيتين؟

2- بم ضرب الله المثل للذين كفروا؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: توجيهات قرآنية في شأن الكفار والمنافقين

بعد أن أخبر القرآن الكريم بما سيحل بالكفار في الآخرة في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ [التحريم: 7]، أمر رسوله ﷺ بكيفية معاملتهم في الدنيا إذا هم تمادوا في إذايته وإذاية أصحابه، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: يا أيها النبي جاهد أنت ومن معك من المؤمنين الكفار والمنافقين، وذلك بدعوتهم إلى الإسلام، ومواجهة المحاربين منهم بالسيف إذا اقتضت مصلحة الأمة ذلك، ووجدت الدواعي الشرعية له، وعن قتادة: مجاهدة المنافقين لإقامة الحدود عليهم. وعن مجاهد: بالوعيد. وقيل: بإفشاء أسرارهم. ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾

أي: وعاملهم بالغلظة والقوة حتى يهابوك أنت ومن معك، ولا يستخفون بك وبالمومنين، وتكونوا في مأمن من أذاهم وخيانتهم. قال الطاهر بن عاشور: «وإنما أمر رسوله ﷺ بذلك، لأن الكفار تألبوا مع المنافقين بعد هجرة النبيء ﷺ فاتخذوهم عيونا لهم وأيدي يدسون بها الأذى للنبيء ﷺ وللمؤمنين». [التحرير والتنوير: 372/28].

وهذه الآية ليست على عمومها، فلا يمكن مقاتلة من ليس على دين الإسلام إذا لم يتآمروا على المسلمين، ويشكلوا خطرا على بلاد الإسلام، ولم يقاتلوا المسلمين، ومع كل ذلك فإن الجهاد يكون بأمر ولي المسلمين وتحت مسؤوليته، وقد كان النبي ﷺ يتعايش مع الكفار والمشركين بمكة، ومع غير المسلمين عموما وكذا مع المنافقين بالمدينة، وأمر الصحابة بالهجرة إلى بلاد النصارى بالحبشة، ويدل على مشروعية التعايش بين المسلمين وغيرهم مجموعة من النصوص والادلة الشرعية، منها ما تضمنته صحيفة المدينة، وكذا قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ اُ۬للَّهُ عَنِ اِ۬لذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِے اِ۬لدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمُۥٓ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمُۥٓۖ إِنَّ اَ۬للَّهَ يُحِبُّ اُ۬لْمُقْسِطِينَۖ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ اُ۬للَّهُ عَنِ اِ۬لذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِے اِ۬لدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمُۥٓ أَن تَوَلَّوْهُمْۖ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ اُ۬لظَّٰلِمُونَۖ﴾ [المتحنة: 8-9].

وقوله تعالى: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِيسَ اَ۬لْمَصِيرُۖ﴾ أي: ومقر الفريقين الكافرين والمنافقين في الآخرة جهنم، وبئس المرجع الذين يصيرون إليه.

ثانيا: قصة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام

بعد أن بين الله عز وجل بعضا من أحكام الكفار والمنافقين، ضرب مثلا للذين كفروا بامرأة نوح وامرأة لوط حيث قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اَ۬للَّهُ مَثَلاٗ لِّلذِينَ كَفَرُواْ اُ۪مْرَأَتَ نُوحٖ وَامْرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ أي: ضرب الله مثلا يبين به حال أمثلة من الكافرين

﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ قيل اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة، وهذا يفتقر إلى صحة نقل ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ أي: كانتا تحت عصمة نبيّين كريمين، وكان الأجدر بهما أن ينتفعا ويهتديا بهديهما.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس: خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول: إنه مجنون، وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه، وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل: خانتا بالزنا، وأنكر ابن عباس ذلك، وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص.

وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما.

وقيل: هذا مثال لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا.

قال البيضاوي: «مَثَّلَ الله تعالى حالهم في أنهم يعاقبون بكفرهم، ولا يحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما». [تفسير البيضاوي: 5/226].

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أنه يجب على الدولة المسلمة حماية أمنها واستقرارها، وحفظ الدين وتوفير ظروف الدعوة إليه تحت رعاية ولي أمرها ووفق أمره وتوجيهاته.
- أن الإنسان رهين بأفعاله، ولا ينفعه غيره مهما بلغت مكانته عند الله عز وجل، لذلك على الإنسان أن يقبل على الله ويملأ قلبه بالإيمان والتقوى.
- أن مجرد المخالطة أو النسب أو الزوجية لا ينفع في النجاة عند الله، إذا مات صاحبه على الكفر ولم يتب.

- أن الهداية إلى الإيمان هي بيد الله تعالى، لا تنفع فيها قرابة المهتدين ولا خلطتهم.

التقويـم

1- متى يشرع الجهاد بالقوة؟

2- كيف توفق بين الآية موضوع الدرس والآيات التي تدعو إلى التعايش مع الكفار والمشركين؟

3- ما الغاية من ضرب المثل بقصتي امرأة نوح وامرأة لوط؟

الاستثمار

أما الجهاد الشرعي فأنواع: أهمها جهاد النفس بتكوينها وتهذيبها وتزكيتها وتأهيلها لتحمل المسؤولية. ويليه الجهاد بالفكر، ويكون بترويض العقل وصقله واستخدامه فيما يفيد البشرية، والجهاد بالقلم، ويكون بتأليف الكتب النافعة وتحرير المقالات المنورة للفكر، ورد الشبه والتهم الملصقة زورا بالإسلام والمسلمين. والجهاد بالمال ويكون بالإنفاق بسخاء في أبواب الخير، والإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وأما الجهاد بالسلاح فإنه لا يلتجئ إليه المسلمون إلا في حالة الضرورة القصوى عندما يعتدي عليهم أعداؤهم، وتفشل كل الوسائل السلمية. فالجهاد في هذه الحالة شبيه بالكَيِّ الذي هو آخر الدواء. ومع ذلك، فإن إعلان الجهاد في هذه الحالة لا يكون إلا بأمر الإمام الأعظم، إذ هو من اختصاصه وحده. إذ أعطاه الإسلام وحده الحق في إعلانه والدعوة إليه وتنظيمه، ولم يبح لأي فرد ولا جماعة أن تقتحمه من تلقاء نفسها. وقد ألح علماء الإسلام قديما وحديثا على إبراز هذا الاختصاص، صيانة لتماسك الأمة، وحماية لها من أن ينفرط عقدُها، فتتنازع وتفشل وتذهب ريحها.

[فتوى صادرة عن الأمانة العامة للمجلس العلمي الأعلى بالمغرب بتاريخ: 2 صفر 1437، /14 نونبر 2015]

أتأمل مضمون الفتوى وأجيب عن الآتي:

1- أبرز أنواع الجهاد المذكورة في النص.

2- لماذا كان إعلان الجهاد اختصاصا حصريا للإمام الأعظم بعد توفر موجباته؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيتين: 11-12 من سورة التحريم وأجيب عن الآتي مستعينا بتوجيهات الأستاذ(ة):

1- أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: أَحْصَنَتْ - فَرْجَهَا - فَنَفَخْنَا فِيهِ - مِن رُّوحِنَا - مِنَ الْقَانِتِينَ.

2- أبحث في قصتي امرأة فرعون ومريم ابنة عمران والعبر المستفادة من القصتين.



سورة التحريم ﴿الآيتان: 11 – 12﴾

أهداف الدرس

1 – أن أتعرف قصتي امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

2 – أن أدرك مسؤولية الإنسان عن أفعاله دون أفعال غيره.

3 – أن أقتدي بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الثبات على الإيمان.

تمهيد

بعد أن ضرب الله المثل بامرأتين ضالتين كافرتين تحت عبدين صالحين، بين في مقابلهما حال امرأتين صالحتين في ظروف الكفر ليبين أن صلتهما بالكفار لا تضرهما كحال امرأة فرعون، وكانت امرأة صالحة تحت ظالم من أشد أعداء الله تعالى، ومريم ابنة عمران، وقد اصطفاها الله على نساء العالمين، مع أن قومها كانوا كفارا.

فما الغاية من ضرب المثل بالمرأتين الصالحتين؟ وما علاقة ذلك بما تقدم في صدر السورة من قصة أمهات المومنين؟

الآيات

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ
ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (11)
وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ
رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (12)﴾ [سورة التحريم: 11–12]

الفهم

الشرح:

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾: نفخ جبريل في فرجها.

﴿مِن رُّوحِنَا﴾: جبريل.

﴿مِنَ الْقَانِتِينَ﴾: من العابدين.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ما القصة التي ضربها الله مثلا في الآية الأولى؟

2- ما القصة الثانية التي ضربها الله مثلا في الآية الثانية؟

التفسير

اشتملت هاتان الآيتان على ما يأتي:

أولا: قصة امرأة فرعون

بعد ما ضرب الله المثل بامرأتين كافرتين تحت عبدين صالحين، ضرب مثلا للذين آمنوا بامرأتين مومنتين: أولهما امرأة فرعون التي قال فيها الحق سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ قال البيضاوي: «شبه حالهم في أن وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع أنها كانت تحت أعدى أعداء الله». [تفسير البيضاوي: 5/226] وامرأة فرعون اسمها آسية، وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام، فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها، فدعت بهذا الدعاء ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قالت: يا رب ابن لي بيتا قريبا من رحمتك في الجنة، وخلصني من كفر فرعون وظلمه، وأنقذني من قومه الظالمين. فقبض الله روحها.

ثانيا: قصة مريم ابنة عمران

المرأة المؤمنة الصالحة الثانية التي ضرب الله بها المثل للمؤمنين هي مريم ابنة عمران قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: وضرب الله مثلاً للذين آمنوا بمريم ابنة عمران، ﴿ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة، وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه، فنفخنا فيه من روحنا عبارة عن نفخ جبريل في فرجها، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام. وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه، وفي ذلك تشريف له.

قال الآلوسي: «قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ النافخ رسوله تعالى وهو جبريل عليه السلام فالإسناد مجازي، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي فنفخ رسولنا، وضمير فِيهِ للفرج، واشتهر أن جبريل عليه السلام نفخ في جيبها فوصل أثر ذلك إلى الفرج». [روح المعاني: 14/358]

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ أي: آمنت بكلمات ربها، وكلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو جنس الكتب، وقرأ أبو عمرو وحفص«وكتبه» بالجمع يعني: جميع كتب الله.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي: من العابدين، فإن قيل: لم قال من القانتين بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب: أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور.

يستفاد من هاتين الآيتين ما يأتي:

- أن إيمان الإنسان وصلاحه لا يقدح فيه مخالطة غير أهل دينه بزواج أو مصاهرة أو غير ذلك.

- أن ألتجئ إلى الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل لدفع ما يحل بي من المصائب والمحن.
- الإحصان والعفة شرف للمرأة في كل الشرائع السماوية.
- عيسى عليه السلام روح الله وكلمته، خلقه من غير أب معجزة دالة على قدرته ومشيئته.
- مريم ابنة عمران نموذج المرأة في كمالها الروحي والخلقي.

التقويم

1- ما وجه ضرب المثل للذين آمنوا بامرأة فرعون؟

2- بم واجهت امرأة فرعون طغيان زوجها ومعارضته لإيمانها؟

3- بم ميز الله مريم ابنة عمران ورفع من قدرها؟

الاستثمار

أكتب موضوعا مركزا ألخص فيه أهم القضايا التي عالجتها سورة التحريم، والمقاصد المستخلصة منها، مستثمرا ما اكتسبته من مهارات في مادة التعبير والإنشاء.

فهرس الأعلام

- **ابن جزي:** هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي الأندلسي، ترك كثيرا من الآثار في مختلف فنون العلوم كالفقه والحديث والتصوف والقراءات. من أهم مؤلفاته: كتاب «القوانين الفقهية»، وكتاب «التسهيل في علوم التنزيل». توفي رحمه الله سنة 741 هـ.
- **ابن أبي حاتم:** عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد، حافظ للحديث، له تصانيف، منها «الجرح والتعديل»، و«التفسير»، كان منزله في درب حنظلة بالريّ، توفي عام 327 هـ.
- **ابن جرير الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الفقيه المفسر المؤرخ، امتنع عن القضاء وولاية المظالم، من أشهر مؤلفاته: «جامع البيان فى تفسير القرآن» و«اختلاف الفقهاء» و«تاريخ الرسل والملوك» ويعرف بتاريخ الطبرى. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفى بها سنة 310هـ.
- **ابن عاشور:** محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. له مؤلفات كثيرة، من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» و «التحرير والتنوير في تفسير القرآن»، وغيرهما من المؤلفات. توفي رحمه الله سنة 1393هـ.
- **ابن عباس:** عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل حبر الأمة، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، حيث بلغت في الصحيحين وغيرهما نحو 1660 حديثا. وكف بصره في آخر عمره، سكن الطائف، وتوفي بها سنة 68 هـ.

- **ابن عجيبة:** هو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد التطواني المعروف بابن عجيبة، والمكنى بأبي عباس، الإمام المفسر، من مؤلفاته: «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، و«حاشية على مختصر خليل»، و«حاشية على الجامع الصغير» للسيوطي وغيرها، توفي رحمه الله سنة 1224هـ
- **ابن عطية:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي الأندلسي، الفقيه المفسر، تلقى العلم من مشايخ الأندلس، ومنهم: أبوه أبو بكر غالب وأبو علي الغساني. له تآليف كثيرة منها: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، توفي سنة 542هـ.
- **ابن كثير:** هو الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، من مؤلفاته: «تفسير القرآن العظيم» و «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث» وغيرهما، توفي رحمه الله سنة 774 هـ.
- **أبو بكر ابن العربي:** محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر بن العربيّ المعافري الإشبيلي المالكي، من حفاظ الحديث. برع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. صنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. منها: «العواصم من القواصم» و «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي» و «أحكام القرآن»، و«القبس في شرح موطأ ملك بن أنس». ولد في إشبيلية، وولي فيها القضاء، ورحل إلى المشرق، ومات بقرب فاس، ودفن بها عام 543 هـ.
- **أبو حيان:** محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. من أشهر كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، ولد في غرناطة، ورحل إلى مالقة. ثم أقام بالقاهرة. وتوفي فيها عام 745 هـ.
- **الألوسي:** محمود بن عبد الله، شهاب الدين الحسيني الآلوسي البغدادي، مفسر ومحدث وأديب، تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248هـ وعزل فانقطع للعلم، من كتبه: «روح المعاني في التفسير». ولد ببغداد وتوفي بها سنة 1270 هـ.

- **الخازن** : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن، وعُرف بالخازن لأنه كان أمينًا لمكتبة في دمشق. عالم بالتفسير والحديث، ومن فقهاء الشافعية. أصله من حلب، وولد ببغداد سنة 678هـ، من مؤلفاته تفسيره المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، وكانت وفاته بحلب سنة 741هـ.
- **الزمخشري:** محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، ألف كتبا كثيرة أهمها تفسيره المشهور: «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل». توفي سنة 538 هـ.
- **فخر الدين الرازي:** محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول، من أشهر كتبه: «التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب» و«المحصول في علم الأصول»، ولد في الري وإليها نسبته، ويقال له: ابن خطيب الري، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة 606 هـ .
- **قتادة:** بن دعامة، قدوة المفسرين والمحدثين، روى عن عبد الله بن سرجس، وأنس بن مالك، وأبي الطفيل الكناني، وسعيد بن المسيب، توفي رحمه الله سنة 118 هـ.
- **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، من أهم مؤلفاته كتاب «الجامع لأحكام القرآن» وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا. توفي رحمه الله سنة 671 هـ.
- **النسفي:** أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي المفسر المعروف، من أهم كتبه تفسيره مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشهور بتفسير النسفي، (المتوفى: 710هـ).
- **الواحدي:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي، صاحب التفسير وإمام علماء التأويل من أولاد التجار، وأصله من ساوه. له عدة تصانيف، منها: البسيط والوسيط والوجيز في التفسير، وأسباب النزول، توفي رحمه الله بنيسابور سنة 468 هـ

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:** برواية ورش عن نافع الطبعة الصادرة عن مؤسسة محمد السادس لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الثالثة 2012.
- **التسهيل لعلوم التنزيل:** لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.
- **أحكام القرآن:** للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1424 هـ، 2003 م.
- **أسباب نزول القرآن:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، 1412 هـ - 1992 م.
- **الأعلام:** لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002 م
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
- **البحر المحيط في التفسير:** لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة 1420 هـ.

- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبعة 1419 هـ.
- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:** المشهور بـ«التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ.
- **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م.
- **تفسير القرآن العظيم:** لمحمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1419 هـ.
- **جامع البيان في تأويل القرآن:** لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ، 2000 م.
- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه:** المعروف بـ«صحيح البخاري»، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، (المتوفى: 256هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن:** والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ
- **سنن الترمذي:** لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، 1395 هـ.
- **شعب الإيمان:** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، 1423 هـ، 2003 م.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:** لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل:** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ
- **محاسن التاويل:** لمحمد جمال الدين القاسمي (المتوفى: 1332هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1418 هـ
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – 1422 هـ

- **المحصول في أصول الفقه:** للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري المالكي (المتوفى: 543هـ)، تحقيق: حسين علي اليدري وسعيد فودة، دار البيارق - عمان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 1999.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** المشهور بتفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1416 هـ، 1995 م
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ:** لمسلم بن الحجاج أبو الحسيْن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **مفاتيح الغيب:** ويسمى التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
- **الموطأ:** للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1985م.

فهرس الموضوعات